BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

مراصد

كراسات علمية ٤٨

تاريخ إجرامي ومستقبل إرهابي

الجهاديون الأوروبيون والرابطة الإرهابية الإجرامية الجديدة

إعداد
راجان بصرة
بيتر نيومان
كلوديا برونر

ترجمة
محمد العربي

مراصد ٤٨

عدد أغسطس ٢٠١٨

كراسات علمية محكمة تعنى برصد أهم الظواهر الاجتماعية الجديدة، خاصة في الاجتماع الديني العربي والإسلامي، تصدر عن وحدة الدراسات المستقبلية – مركز الدراسات الاستراتيجية، بمكتبة الإسكندرية.

رئيس مجلس الإدارة
مصطفى الفقي

رئيس التحرير
خالد عزب

سكرتارية التحرير
أمنية الجميل

التدقيق اللغوي
فاطمة نبيه

التصميم الجرافيكي
آمال عزت

الآراء الواردة في «مراصد» تُعَبِّر عن رأي الكاتب فقط، ولا تُعَبِّر عن رأي مكتبة الإسكندرية.

تاريخ إجرامي ومستقبل إرهابي

الجهاديون الأوروبيون والرابطة الإرهابية الإجرامية الجديدة

إعداد

راجان بصرة

بيتر نيومان

كلوديا برونر

ترجمة

محمد العربي

تُرجم هذا التقرير بإذن خاص من المركز الدولي لدراسات الراديكالية بكينغز كولدج بلندن
لوحدة الدراسات المستقبلية - مركز الدراسات الاستراتيجية بمكتبة الإسكندرية.

مكتبة الإسكندرية بيانات الفهرسة- أثناء - النشر (فان)

بصرة، راجان.

تاريخ إجرامي و مستقبل إرهابي : الجهاديون الأوروبيون و الرابطة الإرهابية الإجرامية الجديدة / إعداد راجان بصرة، بيتر نيومان، كلوديا برونر ؛ ترجمة محمد العربي. - الإسكندرية، مصر : مكتبة الإسكندرية، مركز الدراسات الاستراتيجية، وحدة الدراسات المستقبلية، 2018.

صفحة ؛ سم. (مراصد ؛ 48)

يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.

تدمك 978-977-452-499-9

1. داعش (منظمة) 2. الإرهاب -- جوانب اجتماعية. أ. نيومان، بيتر. ب. برونر، كلوديا. ج. العربي، محمد. هـ مكتبة الإسكندرية. مركز الدراسات الاستراتيجية. وحدة الدراسات المستقبلية. و. العنوان ز. السلسلة.

ديوي -303.62506 20185651319598

ISBN 978-977-452-499-9

رقم الإيداع: 13998/ 2018

© ٢٠١٨ مكتبة الإسكندرية.

الاستغلال التجاري

يحظر إنتاج نسخ متعددة من المواد الواردة في هذه الكراسة، كلها أو جزء منها، بغرض التوزيع أو الاستغلال التجاري، إلا بموجب إذن كتابي من مكتبة الإسكندرية. وللحصول على إذن لإعادة إنتاج المواد الواردة في هذه الكراسة، يُرجى الاتصال بمكتبة الإسكندرية، ص. ب. ١٣٨، الشاطبي ٢١٥٢٦، الإسكندرية، مصر.

البريد الإلكتروني: secretariat@bibalex.org

المحتويات

مقدمة ٩

حجة الدراسة وبنيتها ١٢

١- الرابطة الإجرامية الإرهابية ١٣

الجماعات في مقابل الشبكات ١٤

الأيديولوجيا في مقابل المكاسب ١٥

الأغنياء في مقابل الفقراء ١٦

٢- قاعدة البيانات ١٧

المنهج ١٨

الترميز ١٩

النتائج ٢١

٣- التحول إلى الراديكالية والتجنيد ٢٨

السردية الخلاصية ٢٩

دراسة الحالة ١: عبد الرزاق بن عربي «بيج إيه» ٣٠

شرعنة الجريمة ٣٢

التجنيد ٣٣

٤- السجون ٣٥

القابلية للتأثر ٣٦

دراسة الحالة ٢: هاري سارفو ٣٧

التشبيك ٣٩

ما بعد إطلاق السراح ٤٠

٥- نقل المهارات ٤٢
الأسلحة ٤٣
البقاء «تحت الرادار» ٤٤
دراسة الحالة ٣: شبكة باريس- بروكسل ٤٥
الألفة مع العنف ٤٧
٦- التمويل ٤٩
الاستراتيجية ٥٠
الأيديولوجيا ٥٢
دراسة الحالة ٤: آميدي كوليبالي والأخوان كواشي ٥٣
الاستمرارية ٥٥
٧- التوصيات ٥٧
إعادة التفكير في الراديكالية ٥٧
وضع خريطة للرابطة الإجرامية الإرهابية ٥٨
سجون أكثر أمانًا ٥٩
استهداف كل مسارات التمويل ٦٠
تشارك المعلومات ٦٠
بناء تحالفات جديدة ٦١

شكر

هناك العديد من الأفراد والمؤسسات الذين أسهموا في هذا التقرير. ونحن ممتنون لسكاي روبرتس على المساعدة البحثية، وكذلك لخريجي كينغز آدام أليلي وكافيش بيسيسوار وجولييت ديروو ولاسه نيلسن وماكسيميليان روف.

ونود أن نشكر أيضًا يورغن شتوربك المدير المؤسس للشرطة الأوروبية، وبهنام ت. سعيد المحلل لدى وحدة المخابرات المحلية بمدينة هامبورغ، وكل هؤلاء الذين شاركوا في المقابلات ولم يودوا ذكر أسمائهم. وأخيرًا للمستشارية الألمانية لدعمها ودورها في إعداد هذا التقرير.

إن الآراء الواردة في هذا التقرير، وكذلك الأخطاء، تعبر عن المؤلفين وحدهم.

مقدمة

«في بعض الأحيان، يبنـي الأشخاص ذوو الماضـي الأسوأ مستقبلًا أفضل»

ملصق دعائي للجماعة الجهادية البريطانية راية التوحيد[١].

في صباح الأربعاء ٣١ من أغسطس ٢٠١٦، اقترب شرطيان من شخص مشتبه به أنه تاجر مخدرات في ضاحية كريستينا، وهي ضاحية بديلة في العاصمة الدنماركية كوبنهاجن. بدون تحذير، سحب الرجل مسدسه وأخذ يطلق النار على الشرطيين ثم أخذ يهرب. جرح الشرطيان وأحد العابرين. (أصيب أحد الشرطيين بجراح خطيرة برصاصة في رأسه) تم تعقب المشتبه به إلا أنه توفي بسبب الجراح التـي أصيب بها في إطلاق النيران[٢]. كان اسمه ميشا هودجيتش Mesa Hodzic، وهو دنماركي بوسني يبلغ من العمر ٢٥ عامًا، وكان معروفًا لدى الشرطة كتاجر مخدرات.

بعد يومين أعلن تنظيم الدولة الإسلامية[٣] المعروف بـداعش مسئوليته عن أفعال هودجيتش زاعمًا أنه من جنود الخلافة[٤]. في البداية بدا هذا تضاربًا واضحًا؛ ألم يعن الجهاديون أنهم متدينون ويمتنعون عن المخدرات والجرائم «العادية»؟ ثم اتضح أن هودجيتش لم يكن تاجر مخدرات رفيع المستوى فقط، بل أيضًا عضو في تنظيم سلفي، عبّر عن تعاطفه مع الدولة

---

(١) "Western Foreign Fighters in Syria", *The International Center for the Study of Radicalisation (ICSR)*, http://icsr.info/projects/western-foreign-fighters-syria

(٢) Astrid Ildor, "Mesa Hodzics liv vidner om en forrået løbebane", *Berlingske*, www.b.dk/nationalt/mesa-hodzics-liv-vidner-om-en-forraaet-loebebane

(٣) دائمًا ما اعتبر مصطلح جهادي/ الجهادية مثيـرًا للخلاف منذ أن بدأ استخدامه الشائع في أواخر التسعينيات. وتتمثل إحدى الشكاوى المتكررة بشأنه في أنه يربط بغير إنصاف ما بين المفهوم الدينـي «الجهاد» بالأفعال الإرهابية أو العنف المتطرف. ولتحقيق أغراض هذه الدراسة من المهم التمييز بين «الجهادية»، وهي أيديولوجيا ثورية حديثة، و«الجهاد»، كمفهوم إسلامي يعنـي «بذل الجهد»، الذي يشير إلى أشكال الجهد المدفوع دينيًّا كافة، سواء كانت روحانية أم شخصية أم سياسية أم عسكرية. وفي الحقيقة، فإن الذين يقطعون وحدهم بتطابق الجهادية والجهاد هم «المعادون للإسلام» (الذين يريدون تصوير الإسلام باعتباره عنيفًا بطبيعته) والجهاديون أنفسهم، انظر:
Thomas Hegghammer, "Jihadi-Salafis or Revolutionaries? On Religion and Politics in the Study of Militant Islamism", *Global Salafism: Islam's New Religious Movement*, edited by Roel Meijer (London: Hurst, 2009): 244-266; John L. Esposito, *Unholy War: Terror in the Name of Islam* (Oxford: Oxford University Press, 2003): 26-28.

(٤) "IS-nyhedsbureau: Mistænkt Christiania-skudmand var IS-soldat", *Berlingske*, www.b.dk/nationalt/is-nyhedsbureau-mistaenkt-christiania-skudmand-var-is-soldat

الإسلامية، وظهر في فيديوهاتها الدعائية[٥]. وبدلًا من أن تكون حالته موضع تضارب أصبحت تبيانًا لمدى تداخل الخطوط بين الجريمة والتطرف[٦]. فهل كان هودجيتش مجرمًا؟ أو إرهابيًّا؟ أو الاثنين معًا؟

ليس هودجيتش الحالة الوحيدة التي يتحول فيها مجرمو عاتٍ إلى جهادي. لقد أعلنت الشرطة الاتحادية الألمانية أنه من بين ٦٦٩ من المقاتلين الأجانب الألمان الذين تمكنت من جمع معلومات كافية عنهم، من كان لديهم سجلات شرطية قبل سفرهم إلى سوريا[٧]، فيما أدين الثلث الباقي بتهم إجرامية[٨]. أما المدعي العام البلجيكي، فقد قال أيضًا إن نصف الجهاديين في بلده كان لديهم سجلات إجرامية[٩]. وأخبرنا مسئولون من النرويج وهولندا أن «على الأقل ٦٠٪» من الجهاديين في بلدانهم كانوا متورطين سابقًا في الجريمة[١٠]. لقد كان هذا السبب الذي دفع آلان غرينيارد Alain Grignard قائد شرطة بروكسل الاتحادية لوصف داعش بأنها «نوع من العصابة الكبرى»[١١].

ربما لا تكون هذه الظاهرة جديدة كليًّا. ففي منتصف التسعينيات، أشارت الجرائد الفرنسية إلى عناصر الجماعة الإسلامية المقاتلة على أنهم «إرهابيو عصابات»؛ لأن الكثير منهم قد انخرط في عصابات محلية[١٢]. وبالمثل، كان مرتكبو الهجمات على قطارات مدريد في العام ٢٠٠٤ مجرمين

(٥) كما تم الإعلان عنه من خلال، انظر:
"Jihadists Claim Christiania Shooter Was 'Soldier of ISIS'", *The Local*, www.thelocal.dk/20160902/amaq-claim-christiania-shooter-was-soldier-of-isis

(٦) من المثير أن وكالة أنباء تنظيم الدولة الإسلامية لم تعلن عن أفعال هودجيتش إلا بعد أن أُعلن عن وفاته.

(٧) Bundeskriminalamt (BKA), Bundesamt für Verfassungsschutz (BfV) and Hessisches Informations-und Kompetenzzentrum gegen Extremismus (HKE), *Analyse der Radikalisierungshintergründe und-verläufe der Personen, die aus islamistischer Motivation aus Deutschland in Richtung Syrien oder Irak ausgereist sind* (Weisbaden: Köln Berlin, 2016): 17.

(٨) Christophe Lamfalussy, "Un djihadiste belge sur deux a un passé de délinquant", *La Libre*. be, www.lalibre.be/actu/belgique/un-djihadiste-belge-sur-deux-a-un-passe-de-delinquant-55ccbd7635708aa43782a1e6

(٩) *United Nations Analytical Support and Sanctions Monitoring Team, Analysis and Recommendations with Regard to the Global Threat from Foreign Terrorist Fighters*, S/2015/358 (New York: United Nations. Security Council, 2015): 11, online e-book, www.un.org/sc/ctc/wp-content/uploads/2015/06/N1508457_EN.pdf

(١٠) Interviews with Dutch and Norwegian Police Officers (1-2 September 2016).

(١١) Paul Cruickshank, "A View from the CT Foxhole: An Interview with Alain Grignard, Brussels Federal Police", *CTC Sentinel* 8, no. 8 (August 2015).

(١٢) Lia Brynjar and KjØk Ashild, *Islamist Insurgencies, Diasporic Support Networks, and their Host States: The Case of the Algerian GIA in Europe 1993-2000*, FFI/Rapport-2001/03789 (Kjeller: Norwegian Defence Research Establishment, 2001): 28.

سابقين ومولوا العملية من خلال تجارة المخدرات[١٣]. ومن ثم، لم يكن الاندماج بين الإرهاب والجريمة بلا سوابق. لا يمكننا تقديم إحصائيات موثوقة عن المقدار الذي ارتفعت به أسهم «رجال العصابات» [في التنظيمات الإرهابية]. ومع ذلك، يبدو واضحًا أن دورهم أصبح أكثر بروزًا ووضوحًا وأهمية فيما يتعلق بالطرق التي تعمل بها تنظيمات مثل الدولة الإسلامية، وتؤطر بها رسالتها. بالإضافة إلى هذا، فإننا نعتقد أن الروابط الإرهابية الإجرامية، سواء كانت كلية أم لا، لم تبحث على نحو كافٍ، وأن دلالاتها السياسية والعملية لمَّا تفهم بعد.

ليس الهدف من هذا التقرير التعبير عن هذه الروابط كميًّا، ولكن وصف طبيعتها وآلياتها وفهم ما تعنيه بالنسبة إلى التهديد الإرهابي والطرق التي يجب مواجهتها بها. فكيف تيسر النزعة الإجرامية التحول إلى الراديكالية وعمليات التجنيد؟ وما الدور الذي تؤديه السجون؟ وهل يمتلك المجرمون مهارات تجعلهم أكثر كفاءة كإرهابيين؟ كيف يؤثر التلاقي بين الجريمة والإرهاب في تمويل الهجمات الإرهابية؟

كي نساعد على الإجابة عن هذه الأسئلة، جمع فريق متعدد اللغات من مركز دراسات الراديكالية قاعدة بيانات مشكلة مكونة من ٧٩ ملفًّا شخصيًّا لجهاديين أوروبيين لهم تواريخ إجرامية. وعلى حد علمنا، فهذه هي أول قاعدة بيانات تركز على المجرمين الذين أصبحوا جهاديين في الفترة التالية لعام ٢٠١١. ومن خلال تحليل مساراتهم ودوافعهم وأفعالهم، كنا قادرين على التأكد من العوامل والآليات الرئيسة التي تحدد الروابط الإجرامية الإرهابية في سياق الخطر الجهادي الحالي.

(١٣) "Madrid Bombers Financed Operation with Drug Sales, Spain Says", *USA Today*, https://usatoday30.usatoday.com/news/world/2004-04-14-spain-attack-drugs_x.htm

حجة الدراسة وبنيتها

الاستنتاجات واضحة. فالتلاقي بين الأوساط الإرهابية والإجرامية - الرابطة الإجرامية الإرهابية - الجديدة أمر حقيقي، وله دلالات عميقة على الطريقة التي يعمل بها الجهاديون في أوروبا. فللمرة الأولى، يوجد تماثل كامل بين تنظيمات مثل الدولة الإسلامية، على الرغم من اسمها، عندما أسقطت أي تظاهر بالانخراط في الخطاب العقدي الجاد؛ والأشخاص المنجذبين للرسالة المعادية للثقافة جوهريًا عن الخلاص من خلال العنف والقوة والبأس.

بدلًا من الجامعات وأوساط الطلبة الدينيين، تأخذ الدولة الإسلامية وخلفاؤها بازدياد في البحث عن المجندين في الجيتوهات الأوروبية والسجون، وكذلك بين الأوروبيين في الشرائح المتدنية، وبين هؤلاء الذين كانوا منخرطين سابقًا في العنف والأعمال غير المشروعة. ويمكن لهؤلاء الذين يتحولون إلى جزء من الثقافة الجهادية المعادية أن يستخدموا المهارات الإجرامية لأغراض إرهابية.

نتيجة هذا، أصبحت مواجهة الإرهاب أكثر من أي وقت مضى قضية اجتماعية تتزامن مع وجود «الجيتوهات» والطبقات الإسلامية المتدنية في المدن الأوروبية الكبيرة. ويجب توجيه مزيد من الاهتمام إلى السجون ومواجهة «المخدرات» والجريمة المنظمة. كذلك فمناطق العزلة الدولية، مثل الفصل بين مكافحة الجريمة والأعراف ومكافحة الإرهاب، في حاجة إلى تحليل. ومع تداخل الأوساط الإجرامية والإرهابية، أصبحت الحرب ضد الجريمة مسألة أمن قومي.

يتبع التقرير البنية التالية. فيشرح أول فصلين من الدراسة علاقتها بالدراسات السابقة، وكذلك المناهج التي استخدمت في بناء قاعدة البيانات؛ أما الفصول الأربعة التالية التي تتعامل مع المناطق التي نعتقد أن اندماج الأوساط الإرهابية والإجرامية فيها له تداعيات على الخطر الإرهابي، فمثل: (١) الراديكالية والتجنيد، و(٢) والسجون، و(٣) نقل المهارات، و(٤) تمويل الهجمات. وفي هذا الفصل الأخير، نقوم ببناء سلسلة مفاهيمية وتوصيات عملية عن الكيفية التي تحتاج بها مناهج التعامل مع مكافحة الجريمة والإرهاب والروابط بين الاثنين إلى تغيير.

١- الرابطة الإجرامية الإرهابية

ليس مفهوم الرابطة الإجرامية الإرهابية بجديد. فقد ظهر في بداية التسعينيات بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وميلاد عصر المعلومات. ففي وسط التحولات الجيوبولتيكية واتساع مدى التحولات الجديدة، أخذ الفاعلون من غير الدول في تكييف طريقة عملهم الإجرامية من أجل تحقيق أهدافهم. وفي بداية الثمانينيات، في أثناء صعود بابلو إسكوبار واتحادات المخدرات الكولومبية، حاول الباحثون أن يعرفوا «إرهاب المخدرات Narco-terrorism»، وتجادلوا حول ما إذا كان يمثل حالة حقيقية لتداخل الخطوط الإجرامية والإرهابية[١٤]. وفي السنوات الأكثر حداثة، استخدم مصطلح التمرد الإجرامي المسلح» لوصف الكيفية التي تمثل بها المنظمات الإجرامية تهديدات أمنية استراتيجية بالنسبة إلى الدول[١٥].

بالإضافة إلى هذا، فليس سرًّا أن حركة طالبان في بعض الأحيان تعتمد على إنتاج الهيروين في أفغانستان؛ وأن حزب الله قد استثمر في صناعة المخدرات غير المشروعة منذ الثمانينيات؛ وأن مجموعات مثل الجيش الجمهوري الأيرلندي قد تورطت في تهريب البترول والسجائر وغش السلع الاستهلاكية[١٦].

وعلى الرغم من كل هذه التطورات، فإن المفهوم فشل في اجتذاب الباحثين بما يكفي، بل إن بعضهم رفضه باعتباره أكثر تعميمًا واتساعًا. ومن بين أوجه القصور التي ساقها هؤلاء

(١٤) John T. Picarelli, "Osama bin Corleone? Vito the Jackal? Framing Threat Convergence through an Examination of Transnational Organized Crime and International Terrorism", *Terrorism and Political Violence* 24, no. 2, *Intersections of Crime and Terror* (March 2012): 183; Sylvia M. Longmire and Lt. John P. Longmire, "Redefining Terrorism: Why Mexican Drug Trafficking Is More Than Just Organized Crime", *Journal of Strategic Security 1*, no. 1 (November 2008): 35-51.

(١٥) John P. Sullivan, "Criminal Insurgency: Narcocultura, Social Banditry, and Information Operations", *Small Wars Journal* (3 December 2012): 1-13. Sullivan uses Los Zetas of Mexico as an example of a Criminal Insurgency.

(١٦) Ron Moreau, "Taliban's New Role of Afghanistan's New Drug Mafia", Newsweek, www.newsweek.com/2013/06/12/talibans-new-role-afghanistans-drug-mafia-237524.html; Matthew Levitt, "Iranian State Sponsorship of Terror: Threatening U.S. Security, Global Stability, and Regional Peace", *The Washington Institute*, www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/iranian-state-sponsorship-of-terror-threatening-u.s.-security-global-stabil; Matthew Levitt, "Hizbullah Narco-Terrorism: A Growing Cross-Border Threat", *The Washington Institute*, www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/hizbullah-narco-terrorism-a-growing-cross-border-threat; "Want to Know What the IRA Is Now? It's a Trust Fund", *The Irish News*, www.irishnews.com/paywall/tsb/irishnews/irishnews/irishnews//opinion/columnists/2015/08/27/news/want-to-know-what-is-the-ira-now-it-s-a-trust-fund-241482/content.html

الافتراضات التـي تذهب إلى أن التنظيمات الإرهابية والإجرامية تعمل ككيانات متجانسة ومتراتبة، وأن الدوافع الإرهابية والإجرامية متبادلة التنافي. وبالإضافة إلى هذا، ما زالت بعض دراسات الإرهاب تحافظ على فكرة أن الإرهابيين هم أفراد مثقفون جيدو التعليم قادمون من الطبقات العليا والمتوسطة. ومن ثم، فإن تداخلهم الأوساط الدنيا أو الإجرامية لا بد أن يكون أمرًا مستبعدًا.

من وجهة نظرنا، تعد الرابطة الإجرامية الإرهابية مفهومًا هامًّا للغاية، بيد أن طبيعته وآلياته مختلفة عن الطريقة التقليدية التـي نظر إليه بها. فما لاحظناه في حالة المجندين الجهاديين في أوروبا ليس اندماجًا بين المجرمين والإرهابيين باعتبارهم تنظيمات، ولكن اندماج شبكاتهم وبيئاتهم أو أوساطهم الاجتماعية. بعبارة أخرى، فبدلًا من أن تكون المنظمات إما إجرامية وإما إرهابية، أصبحت تلك المنظمات تجند أتباعها من نفس الخزان البشري بما يصنع تضافرات وتداخلات (غالبًا ما تكون غير مقصودة)، لها تداعياتها على الكيفية التـي يتحول بها الأفراد إلى الراديكالية ويعملون من خلالها. وهو ما ندعوه بالرابطة الإجرامية الإرهابية الجديدة.

الجماعات في مقابل الشبكات

تعد تمارا ماكارينكو Tamara Makarenko أحد رواد مفهوم الرابطة الإجرامية الإرهابية البارزين. وفي ورقتها عن «استمرارية الجريمة – الإرهاب»، تحدد ماكارينكو ثلاث مناطق في هذه الرابطة، هي: التعاون والتلاقي والتحول. في نهاية هذا الخط، تتعاون المنظمات الإرهابية مع تلك الإجرامية، إما بطريقة محدودة، وإما من خلال تحالفات قائمة على نقل الأموال، وإما من خلال ائتلافات مركبة. وبالقرب من منتصف الخط، يشير التلاقي بين تلك المنظمات إلى تبنـي المهام التـي تنتمي إلى المنظمات الأخرى؛ ثم تتحول إلى منظمات إجرامية إرهابية هجينة، يستغل كل منها التكتيكات الإرهابية والإجرامية كي يخدم دوافعه. وفي النهاية، يقع التحول في نهاية الخط الأخرى، وفيه تتحول المنظمة إلى النوع الآخر مع وجود تحول في الدافع(١٧).

(١٧) Tamara Makarenko, "The Crime-Terror Continuum: Tracing the Interplay between Transnational Organized Crime and Terrorism", *Global Crime* 6, no. 1 (February 2004): 129-145.

بالمثل، درست لويز شيلي Louise Shelley وجون بيكاريللي John Picarelli الكيفية التي يتبنى بها الإرهابيون الطرق الإجرامية. ووجدا أنه في أغلب الحالات يتبنى الإرهابيون هذه الأنشطة لأسباب تكتيكية(١٨). ويدعم ستيفن هوتشنسون Steven Hutchinson وبات أومالي Pat O'Malley هذا الادعاء، ويشيران إلى أن أي تعاون من هذا النوع هو الملجأ الأخير(١٩). وفيما يتفقان على أن الإرهابيين اليوم سيختارون الإفادة من أي فرصة غير مشروعة. فهما يذهبان إلى أن معظم تلك الجماعات لا تمتلك طموحات استراتيجية أو متعلقة بإدارة المشروعات. ومن ثم، فإن العلاقات الرمزية أو التحالفات طويلة المدى بين تلك الجماعات أمر غير مرجح.

لا تعكس هذه الأعمال الكيفية التي تغيرت بها بنى وعمليات التحول إلى الراديكالية والتجنيد داخل المنظمات الإرهابية. لا تعمل تنظيمات مثل القاعدة أو الدولة الإسلامية باعتبارها منظمات تعمل من أعلى إلى أسفل كليًّا في شكل خلايا منتشرة ومستقبل تقوم ببناء استراتيجيات وتكتيكات لا تتوافق بالضرورة مع هؤلاء الذين يوجدون في موقع القيادة. لقد أخفقت الأدبيات التقليدية في إدراك هذا، ومن ثم ليس لديها إلا القليل لتقوله عن اندماج الأوساط الإجرامية والإرهابية في أماكن مثل ضواحي باريس وبروكسل.

الأيديولوجيا في مقابل المكاسب

أحد المفاهيم الخاطئة الأخرى التي حدت من مساحة البحث هو ثنائية «الأيديولوجيا في مقابل الربح»؛ أي فبينما تسعى المنظمات الإجرامية إلى تحقيق الأرباح، تسعى الجماعات الإرهابية إلى تحقيق أهداف أيديولوجية(٢٠). لوقت طويل، أطلقت هذه الثنائية استنتاجات مفادها أن الجماعات الإسلامية أو الجهادية لن يكون بمقدورها الانخراط في الأنشطة الإجرامية باعتبارها تتعارض مع أهدافها الأيديولوجية(٢١). وكما قالت دانيلا بوف لامونيكا Daniella

(١٨) Louise I. Shelley and John T. Picarelli, "Methods and Motives: Exploring Links between Transnational Organized Crime and International Terrorism", *Trends in Organized Crime* 9, no 2 (December 2005): 52-67.

(١٩) Steven Hutchinson and Pat O'Malley, "A Crime - Terror Nexus? Thinking on Some of the Links between Terrorism and Criminality", *Studies in Conflict Terrorism* 30, no. 12 (December 2007): 1096.

(٢٠) Santiago Ballina, "The Crime-Terror Continuum Revisited: A Model for the Study of Hybrid Criminal Organisations", *Journal of Policing, Intelligence and Counter Terrorism* 6, no. 2 (2011): 121-124.

(٢١) Hutchinson and O'Malley, "Crime-Terror Nexus?": 1095-1106; Chris Dishman, "Terrorism, Crime, and Transformation", *Studies in Conflict and Terrorism* 24, no. 1 (January 2001): 43-58.

Bov-LaMonica «يظهر البحث أن المجتمع الدولي تاريخيًّا متردد في القيام بأي شـيء عدا التفكير في انخراط القاعدة في الجريمة المنظمة»[٢٢].

منذ فترة حديثة نسبيًّا فقط أخذ الباحثون في إعادة دراسة المدى الذي يصل إليه أتباع القاعدة في الأسواق الإجرامية. على سبيل المثال، استنتج صامويل آرونسن Samuel Aronson أن أهداف القاعدة في المغرب الإسلامي، وهو تنظيم اشترك سابقًا في تهريب السجائر وغش السلع منذ تأسيسه، تتبدل من الإجرام إلى الأيديولوجيا[٢٣]. ومع ذلك، يبدو كريس ديشمان وغيره من المدافعين البارزين عن الرابطة الإجرامية الإرهابية مترددين في قبول أن تلك الجماعات، والشبكات المختلفة بداخلها، يمكن أن تسعى وراء أهداف متنوعة. يقول ديشمان بنفسه، «لا يسير كبار تجار المخدرات والقادة الثوريون على السبيل نفسه نحو النجاح»[٢٤].

الأغنياء في مقابل الفقراء

كان أحد أهم عوائق عمل باحثـي الإرهاب في دراستهم للاندماج بين الجريمة والإرهاب هو الحكمة السائدة بأن الإرهابيين ليسوا فقراء أو غير متعلمين، بل إنهم ينتمون إلى أوساط الطبقات الوسطى والعليا، التـي غالبًا، إن لم يكن أبدًا، لا تنخرط في «الجرائم الصغرى». يعود أصل هذا المفهوم إلى بدايات الثمانينيات عندما اكتشف سعد الدين إبراهيم عالم الاجتماع المصري أن نسبة عالية من المسجونين الإسلاميين في مصر كانوا مهندسين أو أطباء قادمين من عائلات ميسورة[٢٥]. وتوصل مارك سيغمان Marc Segeman عميل المخابرات المركزية الأمريكية الذي تحول إلى أكاديمي إلى استنتاجات مشابهة في بداية العقد الأول من الألفية؛ حيث إنه من بين ١٧٢ ملفًّا في عينة لأعضاء القاعدة، فإن أقل من ثلثهم من الطبقة الدنيا، ويحمل ٤٠٪ منهم شهادات جامعية[٢٦]. وتناسب حقيقة أن أسامة بن لادن زعيم التنظيم

(٢٢) Daniella Bove-LaMonica, "Al-Qaeda and Drug Trafficking, a Dangerous Partnership", *Mic*, https://mic.com/articles/504/al-qaeda-and-drug-trafficking-a-dangerous-partnership#.CGDl1AvKQ

(٢٣) Samuel L. Aronson, "AQIM's Threat to Western Interests in the Sahel", *CTC Sentinel* 7, no. 4 (April 2014): 9.

(٢٤) Dishman, "Terrorism, Crime, and Transformation": 45.

(٢٥) Saad Edin Ibrahim, "Anatomy of Egypt's Militant Islamic Groups: Methodological Note and Preliminary Findings", *International Journal of Middle East Studies* 12, no. 4 (December 1980): 423-453.

(٢٦) Marc Sageman, *Understanding Terror Networks* (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2004): 89.

لفترة طويلة وأن العديد من منفذي هجمات ٩/١١ كانوا طلبة جامعيين بلا تاريخ إجرامي، هذه الرواية.

نتيجة لهذا، وعلى الرغم من الحجج المتزايدة التي تؤكد العكس، أظهر الباحثون قليلًا من الاهتمام باندماج الأوساط الإرهابية والإجرامية. وباستثناء السجون التي طالما اعتبرت أسسًا لتفريخ الإرهاب، كان أغلب الباحثين على رضاء مع تكرار مفهوم فكرة «إرهاب الطبقة الوسطى»، وأصروا على التداخل بين الأوساط الإرهابية والإجرامية «بلاغية» أكثر منها «نظامية»؛ أو رفضوا كليًّا فكرة أن الإرهاب يتداخل، في بعض الحالات، مع أي عوامل اجتماعية أو اقتصادية أو سكانية باعتبارها فكرة «عقيمة»؛ مكررين نفس الشعارات المكررة التي تذهب إلى أنه لا يوجد جانب شخصي واحد لأي إرهابي(٢٧).

تمثلت تداعيات هذا الفشل في إعمال الخيال في أن الاندماج بين الأوساط الإجرامية والإرهابية تم إغفاله على نحو واسع. ففي الوقت الذي كان فيه الاندماج بين الأوساط الإجرامية والإرهابية حقيقيًّا، لم يظهر إلا عدد ضئيل من الباحثين، حتى الآن، الاهتمام أيَّ اهتمام به. ولهذا، فنحن على ثقة أن تقريرنا هذا سيمثل إسهامًا هامًّا في تعزيز فهمنا للعلاقات الإجرامية الإرهابية.

٢- قاعدة البيانات

تتمثل القاعدة الإمبريقية لهذا التقرير في قاعدة بيانات تحتوي على ملفات شخصية لـ٧٩ جهاديًّا أوروبيًّا لهم تواريخ إجرامية، في حين إن هذه القاعدة ليست مسحًا ممثلًا للجهاديين «أعضاء العصابات» (ولا ينبغي له أن يقدم على هذا النحو). فقد قدم المادة الأصلية للآليات والتطورات المختلفة التي سيتم وصفها في الفصول القادمة. وفي هذا الفصل، نشرح ما الذي تحويه قاعدة البيانات والكيفية التي تمت بها عملية جمع وترميز البيانات. يتبع هذا جدول يضم

(٢٧) انظر على سبيل المثال:
Jonathan A. Rae, "Will It Ever Be Possible to Profile the Terrorist", *Journal of Terrorism Research* 3, no. 2 (2012): 64-72.

نظرة مبسطة عن المدخلات والفئات التـي تم ترميزها. ويتبع هذا جدول (انظر الجدول رقم ١) بمراجعة مبسطة لكل المدخلات والفئات التـي تعبر عنها.

المنهج

كان الهدف الرئيس من الدراسة الحصول على أفكار حول الموجة الحالية[٢٨] من الجهاديين الأوروبيين. ونتيجة لهذا، اشتملت قاعدة بياناتنا فقط على الأفراد الذين (١) سافروا أو حاولوا السفر إلى «جبهات قتال» أجنبية و/أو كانوا منخرطين في الجهاد بأوروبا؛ و(٢) كان لهم تاريخ إجرامي سابق على دخولهم معترك التطرف؛ و(٣) كانوا نشطاء كجهاديين في أي وقت عقب بدء هذه الموجة في العام ٢٠١١.

تم جمع البيانات بين شهري مارس ويوليو ٢٠١٦، من خلال فريق متعدد اللغات قوامه عدد من طلبة الدراسات العليا بجامعة كينجز كولدج بلندن؛ وهم آدم آلاي وكافيش بيساور وجولييت ديرو ولاسيه نيلسن وماكسيميليان روف. ولأسباب متعلقة بالموارد والوقت جرى التركيز على البلدان الأوروبية التـي تأثرت بشدة بهذه الموجة، من خلال استخدام تقديرات لعدد من الجهاديين الأجانب كمتغير وكيل[٢٩]. ونتيجة لهذا، تضم هذه القاعدة (٧٩) اسمًا لجهاديين؛ من بلجيكا (١٣)، والدنمارك (١١)، وفرنسا (١٣)، وألمانيا (١٥)، وهولندا (١١)، والمملكة المتحدة (١٦).

جمعت كل البيانات من مصادر مفتوحة مثل الجرائد والمقالات ووثائق المحاكم والتقارير الحكومية. وبعد أن حصلنا على الإذن الأخلاقي اللازم[٣٠]، أجرينا سلسلة من المقابلات مع عدد من المسئولين الحاليين والسابقين في مكافحة الإرهاب؛ من أجل تقييم آثار النتائج التـي توصلنا إليها، وللتحقق من مدخلات قاعدة البيانات. لقد أصبح هذا ضروريًّا لأن المعلومات المتعلقة

(٢٨) Peter R. Neumann, *Radicalized: New Jihadists and the Threat against the West* (London: I.B. Tauris, 2016).

(٢٩) Peter R. Neumann, "Foreign Fighter Total in Syria/Iraq Now Exceeds 20,000: Surpasses Afghanistan Conflict in the 1980s", *International Centre for the Study of Radicalisation (ICSR)*, http://icsr.info/2015/01/foreign-fighter-total-syriairaq-now-exceeds-20000-surpasses-afghanistan-conflict-1980s; The Soufan Group, *Foreign Fighters: An Updated Assessment of the Flow of Foreign Fighters into Syria and Iraq* (New York, 2015): 7-10, online e-book, http://soufangroup.com/wp-content/uploads/2015/12/TSG_ForeignFightersUpdate_FINAL3.pdf

(٣٠) "Ethical Approval", *King's College London*, https://www.kcl.ac.uk/ioppn/research/office/research/ethics/index.aspx

بالتواريخ الإجرامية إما غير معروفة وإما غير مكتملة وإما سرية وإما مستعصية على البحث وإما في طور التشكل. وبالإضافة إلى هذا، يمكن للمعلومات المتداولة في الإعلام أن تعكس التحيزات الصحافية؛ بحيث تحظى التواريخ الإجرامية «التي تستحق العناوين الرئيسة» بالانتباه شبه الكامل، في الوقت الذي تهمل فيه الحالات الأخرى، التي قد تكون أكثر أهمية. ولمنع هذه الحالات من تشويه الصورة الكلية، قمنا بحذف ٣٠ شخصًا حكمنا على مساراتهم أنها غير مكتملة بما سمح لنا بالقيام بتقييم أكثر انضباطًا.

تعلقت المشكلة الأخرى بالمجموعات المتجانسة التي كان لأعضائها مسارات إرهابية (أو إجرامية) متطابقة تقريبًا. على أن لا تسعى هذه الدراسة أن تكون تمثيلًا كاملًا للجهاديين الأوروبيين. فقد كنا على وعي بالحاجة إلى الإبقاء على التوازن وتجنب التمثيلات الزائدة على الحد، ومن ثم قمنا بحذف خمسة أشخاص من المجموعة المتماثلة لمدينة ديلفت الهولندية[٣١].

الترميز

سيطرت على عملية الترميز حالة من توخي الحذر. بدأت العملية من خلال الفحص الإمبريقي لخمس حالات، طلب من أعضاء الفريق البحثي بناء متغيرات لها. وبعد نقاش، تم جمع هذه المتغيرات معًا، في الوقت الذي حذف غيرها لكونها متماثلة أو متكررة. نتيجة هذا حصلنا على ٣٠ متغيرًا حاولت أن تعبر عن ثلاثة جوانب رئيسة للملف الشخصي للأفراد أو مساراتها: (١) المعلومات الببليوجرافية، و(٢) الانخراط في الحركة الجهادية، و(٣) التاريخ الإجرامي.

روجعت قرارات الترميز من جانب الباحث الرئيس (راجان بصرة)، وحكم عليها من قبل باحث رئيس آخر في حال إن استمر الخلاف. لم تثر معظم القضايا الخلافية والصعوبات بسبب المعلومات الببليوجرافية الخاصة بالأفراد، ولكن بسبب تواريخهم الإجرامية أو الإرهابية. على سبيل المثال، لا يعني سفر الأفراد إلى سوريا أو العراق بالضرورة أنهم تحولوا إلى مقاتلين أجانب. ففي أول عامين من الحرب الأهلية السورية، سافر الكثيرون من أجل العمل كأطباء

(٣١) Andreas Kouwenhoven, "Daar waren we dan, in het gezegende land", Nrc.nl, www.nrc.nl/nieuws/2014/07/05/daar-waren-we-dan-in-het-gezegende-land-1398422-a216815

أو عمال في أنشطة إغاثية. ونتيجة لهذا، بحثنا، في كل حالة، عن دلائل وجود نيات للقتال، وأدخل فقط الأفراد الذين يمكن إثبات هذا عليهم دون شك منطقي.

بالمثل، تثير مسألة ما إذا كان الشخص متورطًا في التخطيط لعمل إرهابي عددًا من الأسئلة والصعوبات. على سبيل المثال، وجد لدى خليل إبراهيم دي من ألمانيا قنبلة أنبوبية فعالة في قبو منزله، إلى جانب ذخيرة رصاص ٩ مليمترات وأجزاء من بندقية 3G الهجومية. وقد لاحظت مراقبة الشرطة أنه كان موجودًا بالقرب من طريق مخطط لسباق الدراجات في مدينة أوبيروسيل الألمانية[٣٢]. كذلك اشترى خليل ثلاثة لترات من بيروكسيد الهيدروجين الذي يعد مكونًا أساسيًّا في مادة TATP شديدة الانفجار من متجر للأدوات. وقد شرح أنه احتاج إلى تلك المواد من أجل تنظيف منزله من بركة مياه، على الرغم من عدم وجود برك[٣٣]. قبض على خليل دي قبل سباق الدراجات، وبقيت تفاصيل المخطط غير معروفة.

من أجل تقييم الماضي الإجرامي للأفراد، قمنا بترميز الوقت الذي قضوه في السجن (وعدد مرات احتجازهم)؛ ومرات الإدانة الجنائية والتعامل مع الأسلحة النارية، وأنواع الجريمة مثل الجريمة العنيفة (التعدي والسرقة)، أو الجرائم الصغيرة (التعدي على الممتلكات والسرقة)، والاتجار في المخدرات، والتهريب وجرائم ذوي الياقات البيضاء (على سبيل المثال، انتحال الهوية والتزوير المالي).

كانت هذه الفئات واسعة بما يكفي للتغلب على محدودية البيانات، التي غالبًا لا تسمح ببناء فئات فرعية. على سبيل المثال، من الممكن للمصادر المفتوحة [مثل الجرائد] أن تكشف أن شخصًا ما متورط في تجارة المخدرات دون أن توضح دوره على نحو محدد (كمدمن أو تاجر). وبالمثل، عندما تذكر المصادر المفتوحة أن شخصًا ما قام بتهريب السلع المسروقة، فنادرًا ما تكشف عن ماهية تلك السلع. نتيجة لهذا، كان من الصعب تحليل نطاق الحالة الإجرامية داخل فئات بعينها، كما لم يكن ممكنًا إعادة بناء التواريخ على الخط الزمني في كل الحالات؛ وهو ما جعل من العسير تحديد ما إذا استمرت هذه الحالات أو توقفت أو تصاعدت خلال تحول الراديكالية.

(٣٢) Hannelore Crolly, Thorsten Jungholt and Florian Flade, "Der entscheidende Fehler des verhinderten Attentäters", *Welt*, www.welt.de/politik/deutschland/article140377459/Der-entscheidende-Fehler-des-verhinderten-Attentaeters.html

(٣٣) المرجع السابق.

النتائج

لا تظهر نتيجة موحدة من العينة موضع الدراسة، وإن كان من الممكن التوصل إلى الأنماط الأساسية التي تشكلها. كل الأشخاص المكونين للعينة ذكور وغالبيتهم العظمى من الشباب؛ وأكبرهم سنًّا يبلغ ٣٨ عامًا عند تجنيده، ويبلغ أصغرهم ١٦ تقريبًا؛ أما المتوسط فهو ٢٥ عامًا. والنسبة العليا من المتحولين (١٩-٢٢٪) تتماشى مع تقديرات المتحولين في أوساط المقاتلين الأجانب من الاتحاد الأوروبي[٣٤].

من بين ٧٩ شخصًا، انتقل الثلثان (٦٧٪ من العينة) أو حاولوا الانتقال إلى سوريا كمقاتلين أجانب. ويعد الكثير من هؤلاء في عداد نسبة ٣٨٪ من الذين تورطوا في مخططات إرهابية في الداخل، كذلك أدين ٩٪ بتهم متعلقة بالإرهاب دون أن يسافروا أو يشاركوا في عمليات محددة.

تختلف شدة الحالة الإجرامية من مرتكبي الجريمة الواحدة إلى معتادي الإجرام إلى ممتهني الإجرام. ومع الأخذ في الاعتبار عمر هؤلاء المتورطين في الإجرام، فمن المحتمل أن الكثيرين منهم في بداية تشكيل حياة مهنية إجرامية. وبالإضافة إلى هذا، فإن الأغلبية العظمى من المجرمين المحليين منخفضو المستوى، في حين يمارس القليلون منهم الإجرام على المستويين الوطني والعابر للحدود. بالرغم من أن الأغلبية كانت من المتورطين في الجريمة التافهة بنسبة ٦٨٪، فإن شيوع التواريخ العنيفة بين العينة (٦٥٪) أمر ملحوظ، خاصة عند التفكير أننا نفسر حالة من يمارسون العنف في مقابل من هم معرضون له.

تؤدي السجون دورًا هامًّا، مع تعرض أغلبية أعضاء العينة (على الأقل ٥٧٪) للاحتجاز على الأقل لمرة واحدة. وكلنا ثقة أن ١٤ حالة، (١٨٪ من المجموع الكلي أو ٣١٪ من مجموع من قضوا وقتًا في السجن)، قد اعتنقوا الجهادية في السجن، وإن كان معظمهم قد استمر (أو كثف من) تحولهم إلى الراديكالية بعد أن أطلق سراحه. وعلى نحو هام، تورط ثمانية من هؤلاء الأفراد في مخططات محلية؛ وهو ما يعني أنهم ممثلون على نحو كبير بين هؤلاء المتورطين في المخططات المحلية.

(٣٤) Bibi van Ginkel and Eva Entenmann, eds., "The Foreign Fighters Phenomenon in the European Union: Profiles, Threats and Policies", *International Centre for Counter-Terrorism – The Hague* 7, no. 2 (April 2016): 52, online e-article, www.icct.nl/wp-content/uploads/2016/03/ICCT-Report_Foreign-Fighters-Phenomenon-in-the-EU_1-April-2016_including-AnnexesLinks.pdf

كان لـ٣٠٪ من أعضاء العينة خبرات في التعامل مع الأسلحة النارية، وتورط نصف هؤلاء في المخططات الإرهابية المحلية. وعلى النقيض من هذا، بدا أن «جرائم الياقات البيضاء» أمر هامشـي؛ حيث تورط ٦٪ من العينة إما في عمليات سرقة هوية، وإما تزوير بطاقات الائتمان. (ومن المحتمل أن تكون النسبة الحقيقية أعلى من ذلك؛ بسبب صعوبة الحصول على بيانات حول الجرائم التـي تقع تحت تلك الفئة).

كان جمع هذه البيانات معًا طريقة جيدة من أجل الحصول على نظرة منضبطة حول الخبرات المختلفة وأنواع التاريخ الإجرامي والسائدة في أوساط الجهاديين الأوروبيين. والأهم أن هذه الطريقة قد أنتجت معينًا من المعلومات ودراسات الحالة التـي تم بناء النظرات التحليلية في الفصول القادمة عليها.

الرقم	الاسم	البلد	التورط في مخطط	مقاتل أجنبي	قضاء وقت في السجن	متحول إلى الراديكالية في السجن	متورط في أسلحة نارية	الجريمة العنيفة	الجريمة الصغيرة	التهريب	جرائم الياقات البيضاء
١	أيوب الخزاني	بلجيكا/ فرنسا	×	×	×				×		
٢	رضا كيركيت	بلجيكا/ فرنسا	×	×	×		×	×	×	×	
٣	صلاح عبد السلام	بلجيكا/ فرنسا	×		×				×		
٤	إبراهيم عبد السلام	بلجيكا/ فرنسا	×		×		×	×	×	×	×
٥	محمد أبريني	بلجيكا/ فرنسا	×		×				×	×	
٦	سفيان أمغار	بلجيكا	×	×	×				×		
٧	خالد بن العربي	بلجيكا	×	×					×		
٨	خالد زرقاني	بلجيكا							×		
٩	عبد الحميد أباعود	بلجيكا	×	×	×			×	×	×	
١٠	إبراهيم البكراوي	بلجيكا	×	محاولة	×	×	×	×		×	
١١	خالد الباكوري	بلجيكا	×		×	×	×	×		×	
١٢	فؤاد بلقاسم	بلجيكا								×	
١٣	أسامة كرايم	بلجيكا/ سويسرا	×	×					×		
١٤	معز صلاح	الدنمارك			×					×	
١٥	عبد الرزاق بن عربي	الدنمارك		×	×				×	×	
١٦	جودت أورزلو	الدنمارك							×		
١٧	أحمد سمسم	الدنمارك		×	×		×	×		×	

الرقم	الاسم	البلد	التورط في مخطط	مقاتل أجنبي	قضاء وقت في السجن	متحول إلى الراديكالية في السجن	متورط في أسلحة نارية	الجريمة العنيفة	الجريمة الصغيرة	التهريب	جرائم الياقات البيضاء
١٨	حمزة سمسم (أندريس فو)	الدنمارك		×				×			
١٩	علي إسكندر مالك	الدنمارك		×	×		×	×	×	×	
٢٠	عبد المجيد فاضل علي	الدنمارك		×						×	
٢١	عمر عبد المجيد حسين	الدنمارك	×	×		×	×		×		
٢٢	مايكل شاو	الدنمارك		×	×	×			×		
٢٣	و. س.	الدنمارك			×	×	×	×			
٢٤	اسم غير معروف	فرنسا	×	×	×			×			
٢٥	سليم بن غالم	فرنسا		×	×	×	×	×	×		
٢٦	محمد مرح	فرنسا	×		×	×	×	×	×	×	×
٢٧	فليفيان مورو	فرنسا		×	×			×			
٢٨	مهدي نموش	فرنسا	×	×	×	×		×	×		
٢٩	عمر عثمان	فرنسا		×	×	×	×	×	×		
٣٠	كيفين تشايسن	فرنسا		×					×		
٣١	ألكسندر زوسي	فرنسا	×				×	×			
٣٢	إسماعيل مصطفاي	فرنسا	×	×				×	×		
٣٣	أميدي كوليبالي	فرنسا	×		×	×	×	×	×		
٣٤	شريف كواشي	فرنسا	×		×				×	×	

الرقم	الاسم	البلد	التورط في مخطط	مقاتل أجنبي	قضاء وقت في السجن	متحول إلى الراديكالية في السجن	متورط في أسلحة نارية	الجريمة العنيفة	الجريمة الصغيرة	التهريب	جرائم الياقات البيضاء
٣٥	موسى كوليالي	فرنسا	×					×			
٣٦	لعروسي أبالا	فرنسا	×		×		×	×			
٣٧	محمد بوهلال	فرنسا	×				×				
٣٨	وليد د.	ألمانيا		×			×	×	×		
٣٩	إبراهيم هـ. ب.	ألمانيا		×					×		
٤٠	ماركو ريني جابيل	ألمانيا	×		×			×	×		
٤١	سمير أ.	ألمانيا		محاولة					×		
٤٢	نليس د.	ألمانيا		×	×			×	×		
٤٣	دينيس كوسيبرت	ألمانيا	×	×			×	×	×		
٤٤	عمارة أردوغان	ألمانيا	×	×	×			×	×		
٤٥	سليم أو.	ألمانيا						×	×		
٤٦	مصطفى ك.	ألمانيا		×					×		
٤٧	مراد ك.	ألمانيا	×		×			×	×		
٤٨	سباستيان ب.	ألمانيا		×				×			
٤٩	إسماعيل عيسى	ألمانيا		×				×			
٥٠	خليل إبراهيم د.	ألمانيا	×				×	×	×		
٥١	أريا لادجيفاردي	ألمانيا		×				×	×		×
٥٢	هاري سارفو	ألمانيا		×	×	×		×	×		

الرقم	الاسم	البلد	التورط في مخطط	مقاتل أجنبي	قضاء وقت في السجن	متحول إلى الراديكالية في السجن	متورط في أسلحة نارية	الجريمة العنيفة	الجريمة الصغيرة	التهريب	جرائم الياقات البيضاء
٥٣	محمد عدن	هولندا		×	×		×	×			
٥٤	رضا نيضالة	هولندا		×				×			
٥٥	عبد الله رحماني	هولندا		×					×		
٥٦	شكري مصالي	هولندا		×					×		
٥٧	مراد مصالي	هولندا		×	×			×	×		
٥٨	سفيان الفاسي	هولندا		×				×	×		
٥٩	بنيامين فضلاوي	هولندا		×					×		
٦٠	نور الدين بن زواق	هولندا		×					×		
٦١	عز الدين بن عيسى	هولندا		×					×		
٦٢	جوردي دي جاجر	هولندا		×					×		
٦٣	رودولف هوليريهوك	هولندا			×	×		×			
٦٤	جيرمين جرانت	المملكة المتحدة	×		×	×	×	×	×		
٦٥	همايون طارق	المملكة المتحدة		×		×	×				
٦٦	علي المنصفي	المملكة المتحدة		×	×			×	×		
٦٧	محمد أموازي	المملكة المتحدة		×					×	×	
٦٨	محمد الأعرج	المملكة المتحدة		×				×	×	×	
٦٩	شكري الخليفي	المملكة المتحدة		×			×	×			
٧٠	مايكل أديبوالي	المملكة المتحدة	×		×		×	×			

الرقم	الاسم	البلد	التورط في مخطط	مقاتل أجنبي	قضاء وقت في السجن	متحول إلى الراديكالية في السجن	متورط في أسلحة نارية	الجريمة العنيفة	الجريمة الصغيرة	التهريب	جرائم الياقات البيضاء
٧١	مايكل أديبلاجو	المملكة المتحدة	×		×			×			
٧٢	أين ديفيس	المملكة المتحدة	×	×	×	×	×				
٧٣	محمد نواز	المملكة المتحدة		×				×			
٧٤	أوندوجو أحمد	المملكة المتحدة		×				×			
٧٥	جنيد حسين	المملكة المتحدة		×	×			×			
٧٦	عمران خواجة	المملكة المتحدة		×	×				×		
٧٧	عبد الله ديغايس	المملكة المتحدة		×				×			
٧٨	ضحا عيسى	المملكة المتحدة		×	×				×	×	×
٧٩	بروشوم زيماني	المملكة المتحدة	×		×			×			

الجدول رقم ١: قاعدة البيانات المبسطة

٣- التحول إلى الراديكالية والتجنيد

كان حشد المقاتلين الأجانب للقتال في الصراع السوري فائقًا للغاية. فعلى مدار خمس سنوات، ارتحل قرابة ٥٠٠٠ أوروبي إلى الشرق الأوسط للالتحاق بجماعات جهادية في سوريا مثل تنظيم الدولة الإسلامية وجبهة النصرة. لم يستقطب أي صراع آخر انخرط فيه الجهاديون من قبل مثل هذا العدد. وبالإضافة إلى هذا، هناك عدد غير معروف من «المؤيدين داخل بلدانهم» الذين غالبًا ما ينتمون إلى نفس الأوساط الجهادية التي يتم تجنيد المقاتلين الأجانب منها، لكن هؤلاء قرروا البقاء في بلدانهم الأصلية[٣٥].

قام كل من «المؤيدين داخل بلدانهم» و«العائدين» بدور بارز في سلسلة من الهجمات الإرهابية التي وقعت في أوروبا منذ عام ٢٠١٤. تضم كلتا المجموعتين أعدادًا متفاوتة من الأشخاص ذوي «التواريخ الإجرامية» (انظر المقدمة). ومن ثم، يعد أحد الأسئلة الأكثر أهمية – وإلحاحًا – فيما يتعلق بالرابطة الإجرامية الإرهابية هو الكيفية التي تسهم بها التواريخ الإجرامية في عمليات التحول إلى الراديكالية. وتتعلق تلك المسألة بالظروف والخبرات والسرديات والشبكات الشخصية وغيرها من العوامل التي تشرح انخراط الأفراد في التطرف وحشدهم في ممارسة العنف[٣٦].

تقدم السير والمسارات في قاعدة بياناتنا بعض الإجابات الأولية. وتشير إلى أن السردية الجهادية، التي يعبر عنها بوضوح تنظيم الدولة الإسلامية، متسقة للغاية مع الاحتياجات والغايات للمجرمين على نحو مثير للدهشة، كما يمكن أن تستخدم للقبول والتستر على الانخراط الدائم في الجريمة. ومن بين الأفراد الموجودين في قاعدة البيانات، هناك حالات يكون فيها التحول إلى الجهادية مبررًا ومشرعًا للنشاط الإجرامي المستمر. وهناك حالات مغايرة، يعمل فيها التحول إلى الراديكالية كأداة لـ «التكفير» عن «خطايا» الماضي.

(٣٥) Neumann, "Foreign Fighter Total in Syria/Iraq Now Exceeds 20,000"; The Souphan Group, *Foreign Fighters:* 7-10; Joseph A. Carter, Shiraz Maher and Peter R. Neumann, *Greenbirds: Measuring Importance and Influence in Syrian Foreign Fighter Networks* (London: International Centre for the Study of Radicalisation and Political Violence, 2014), online e-book, http://icsr.info/wp-content/uploads/2014/04/ICSR-Report-Greenbirds-Measuring-Importance-and-Infleunce-in-Syrian-Foreign-Fighter-Networks.pdf

(٣٦) للاطلاع على مناقشة للتعريفات، انظر:
Peter R. Neumann, "The Trouble with Radicalization", *International Affairs* 89, no. 4 (Jul 2013): 873-893.

وبالرغم من أن تبني الجماعات الجهادية استراتيجية متعمدة للتواصل مع المجرمين أمر غير مجزوم به، فقد وجدنا أدلة قولية على أن القائمين على التجنيد يؤطرون مساعيهم كي تناسب احتياجات الأشخاص ذوي التواريخ الإجرامية، ولكن لا يوجد دليل منضبط يوضح مدى نجاح مثل هذه المساعي. وفي غياب مثل هذه الأدلة، فإن التفسير الأكثر احتمالية - وأكثر معقولية - للعدد الكبير لجهاديي «العصابات» يظل هو اندماج الأوساط الجهادية والإجرامية. فكل من المجرمين والجهاديين يتم تجنيدهم من نفس القطاعات السكانية، وغالبًا من نفس الأماكن.

السردية الخلاصية

فيما يزيد على عشر شخصيات في قاعدة بياناتنا، وجدنا دليلًا على ما نطلق عليه «السردية الخلاصية». هؤلاء الأشخاص قد تعرضوا إلى ما أطلق عليه كوينتين فيكتورفيتس «الاستهلال الإدراكي»؛ وهو حدث صادم أو أزمة شخصية تدفع الأفراد إلى إعادة تقييم مجمل حياتهم، ويصبحون أكثر قبولًا للتغير الراديكالي في قيمهم وسلوكهم[٣٧]. وفي حالتنا هذه، أدرك هؤلاء مدى الضرر الذي يحمله سلوكهم الإجرامي، ويسعون إلى إحداث قطيعة مع ماضيهم والتعويض عن «خطاياهم». قدم هذا منطقًا لتوجههم نحو الدين، وبرر انخراطهم في التنظيمات الجهادية.

يمكن تفسير سعي هؤلاء وراء الخلاص في الجهادية، بدلًا من أي شكل آخر سائد ومعتاد للدين أو الروحانية، بالتطابق القوي بين الاحتياجات والسرديات. بكلمات أخرى، قدم الانخراط في الجهاد الخلاص من الجريمة، في حين يرضي الاحتياجات والرغبات الشخصية التي قادتهم إليه. كمثل العصابات الإجرامية التي اعتادوا الانضمام إليها، تقدم التنظيمات الجهادية إليهم القوة والعنف والمغامرة والمستوى العالي من الأدرينالين، وليس على الأقل أيضًا شعورًا بالتمرد وبالعداء للمؤسسة. جعل هذا «القفزة» من الإجرام إلى الإرهاب أصغر مما يتصور، خاصة مع التفكير في أن تنظيم الدولة الإسلامية، وعلى العكس من القاعدة، لا يتطلب للانضمام إليه عمليًّا معرفة أو تعلمًا دينيًّا، وقليلًا ما اهتم التنظيم بتعقيدات الخطاب العقدي. بالنسبة إلى المجرمين ذوي الضمير المذنب، الدولة الإسلامية هي الخيار الأفضل.

(٣٧) Quintan Wiktorowicz, *Radical Islam Rising: Muslim Extremism in the West* (Lanham, MD: Rowman and Littlefield, 2005): 20.

من بين الأمثلة البارزة عبد الرزاق بن عربي، والمعروف محليًّا باسم Big A بيج إيه، وهو مجرم عاتٍ من كوبنهاجن قرر أن يتحول إلى الجهادية بعد شفاء أخيه من السرطان. عند شرح أسباب تحوله إلى مقاتل أجنبـي، سرعان ما أشار ابن عربي إلى ماضيه الإجرامي حيث قال: ليس من الجيد أن أصلي فقط وأنا أحمل كل هذه الخطايا (انظر دراسة الحالة رقم ١). استخدم آخرون تبريرات مماثلة، على سبيل المثال تحول علي المنسفي وهو بريطاني سوري من غرب لندن إلى الجهادية بعد أن شارك في اعتداء على رجل مسن بما أدى إلى قضائه فترة طويلة في السجن. عندما أخبر المنسفي صديقه عن رحلته إلى سوريا كمقاتل أجنبـي، قال «أريد أن أقوم بشـيء جيد ولو لمرة واحدة، شـيء نقي»[٣٨]. وهي تقريبًا الكلمات التـي استخدمها رضا نضالة وهو مراهق هولندي غادر موطنه في ليدن إلى بروكسل بعد أن ابتزه زملاؤه المجرمون. لقد كان زملاؤه الجدد جهاديين؛ فأقنعوه سريعًا بأن تحوله إلى «مقاتل أجنبـي» هو سبيله للخلاص من خطايا الماضـي. قال نضالة لوالده «انظر يا أبي، سأذهب إلى المسجد، وأخيرًا سأقوم بأمر جيد، أخيرًا أنا على الطريق القويم»[٣٩].

دراسة الحالة ١: عبد الرزاق بن عربي «بيج إيه»

في أغسطس ٢٠١٢، سافر عبد الرزاق بن عربي «بيج إيه» من الدنمارك إلى تركيا يقاتل مجاهدًا ضد الحكومة السورية. وصل ابن عربي إلى أنطاكيا حيث انطلق منها إلى سوريا. وبعد أن تم تهريبه عبر الحدود، أخذ إلى بيت آمن. قال ابن عربي مُعربًا عن نيته في القتال: «أتمنى أن يغفر الله لنا ما جنينا؛ فقد ارتكبت العديد من المحرمات في موطنـي»[٤٠].

امتلك ابن عربي تاريخًا طويلًا من الإجرام حيث أدين في مرات عديدة بالابتزاز وتهريب المخدرات، وقضـى فترات حكم عديدة في السجن[٤١]. انـخـرط ابن عربي المولود في العام ١٩٧٣، إلى جانب أخيه الصغير - المعروف بـ «ليتل إيه» - في الأوساط الإجرامية

(٣٨) Luke Harding, "From Acton to Aleppo: How One British Muslim's Quest to Syria Ended in Death" *The Guardian*, www.theguardian.com/world/2013/may/31/acton-aleppo-briton-syria-death (لاحظ أن تقارير موت المنسفي في مايو ٢٠١٣ لم تكن صحيحة).

(٣٩) "The Making of an Islamic State Terrorist", Brenda Stoter Boscolo, www.brendastoter.nl/the-making-of-an-islamic-state-terrorist

(٤٠) "European Jihadi: The Danish Gangster Who Joined the Syrian Frontline", *The Guardian*, www.theguardian.com/world/video/2014/jul/07/european-jihadi-danish-gangster-joined-syrian-frontline-video

(٤١) المرجع السابق.

في حي بلجارسجاديه Blågårdsgade بكوبنهاجن منذ سن صغيرة. وكثيرًا ما تحدثت الشرطة مع الوالدين حول المتاعب التي يثيرها الأخوان الصغيران. في سن الخامسة عشرة، أدين «بيج إيه» بالطعن، وبعد عامين أطلق الرصاص على رجل شخص هدد أخاه[٤٢]. وكرجل يافع، عُدَّ أحد زعماء عصابة Blågårds Plads في نوريبو Nørrebro بالدنمارك، وعلى الرغم من أنه لم يتولَّ منصبًا رسميًّا [في العصابة]، فإنه عاش حياة مرفهة من عوائدها[٤٣].

اندفع ابن عربي إلى الراديكالية بسبب استهلال إدراكي وقع له بعد أن شُفي أخوه من السرطان، فقطع وعدًا بالتخلي عن أساليبه الإجرامية، وأن يعود إلى الله لشفائه أخاه:

«لا أعرف ما الذي سيحدث. ربما سأموت هناك. وما جدوى ذلك؟ لأن بعض الناس، كما تعرف، قضوا على يدي. إنها مشكلة كبيرة عندما أقابل الله. لذا علي أن أحاول أن أصنع فرقًا. إنني أفكر في يوم القيامة. ولكن على الأقل سيكون بإمكاني القول إني حاولت وقمت بما يمكن فعله»[٤٤].

على الرغم أن ما حرك رغبة ابن عربي في الخلاص هو محنة شخصية، فليس من الواضح بالضبط ما الذي جعله يعد أن الأفعال غير العنيفة غير ملائمة في سعيه إلى التكفير عن ذنوبه. من الممكن أن تكون الشبكات الراديكالية هي ما بلور وصاعد من «سرديته الخلاصية الداخلية». وهذا ما أدى إلى جعله يفضل الأعمال العنيفة على تلك غير العنيفة. وبالمثل، ربما كان لمفهوم الجهاد نفسه جاذبية حقيقية لدى ابن عربي، مع افتراض وعده بالشهادة وبالخلاص الفوري من خطاياه السابقة.

شارك ابن عربي لمرة واحدة في القتال على الجبهة الأمامية ضد القوات الحكومية، ولم يحتج ابن عربي أي تعليمات بخصوص استخدام بندقية AK-47 «الكلاشينكوف». إلا أن فائدته الحكومية بدأت في الظهور مع عودته إلى الدنمارك؛ إذ هرب ابن عربي الكثير من الإمدادات إلى أصدقائه المجاهدين في سوريا، كما كان قادرًا على جمع قرابة ٥٥ ألف دولار من خلال صلاته

(٤٢) Natascha Rée Mikkelsen, "Historien om 'Store A'", *Berlingske*, www.b.dk/bander/historien-om-store

(٤٣) المرجع السابق.

(٤٤) "European Jihadi: The Danish Gangster Who Joined the Syrian Frontline".

الإجرامية، واشترى ثلاث حافلات صغيرة محملة بالمعدات العسكرية والإمدادات الطبية، وسافر برًّا عبر تركيا كي يوصلها إلى [سوريا][٤٥].

شرعنة الجريمة

في الوقت الذي تكون فيه السردية الجهادية مصدرًا للخلاص، تشير العديد من حالاتنا أنها قد تكون أيضًا مشرعًا للجريمة. ليس هذا بالجديد. أوحى أنور العولقي، الداعية الراديكالي الذي أسهم في تأسيس المجلة الإلكترونية لقاعدة الشباب الأوروبيين الصغار، وحرضهم على أن يكونوا جهاديين «ذئابًا منفردة» في أواخر العقد الأول من الألفية، وأخبر أتباعه مرارًا بأن «سرقة عدوكم» ليست فقط جائزة بل واجبة في بعض الأحيان، وأن المسلمين ليسوا «مقيدين بعهود المواطنة»، وأن أي جهد لدعم الجهاد، سواء كان من خلال سرقة أم قتل الكفار، لا يمكن إدانته طالما يحدث في «دار الحرب» (انظر الفصل السابع)[٤٦].

يعتمد تنظيم الدولة الإسلامية على المنطق نفسه، فيما عدا أن الموجة الحالية من التعبئة الجهادية قد وفرت كل أنواع الأتباع القادرين على تحويل فتوى العولقي إلى أمر واقع. تقدم قاعدة بياناتنا العديد من الحالات التي أدى فيها مثل هذا التبرير دورًا، ونعتقد أن هذه الإمكانية [التي يؤسس لها هذا المنطق] ستزداد أهمية في المستقبل؛ إذ إنها تقدم للمجرمين فرصة «للخلاص» دون أن تطلب أي تغيير في السلوك.

المثال الأبرز على تلك الحالة هو الدائرة التي تشكلت حول خالد الزرقاني. ولد الزرقاني في المغرب عام ١٩٧٣، وانتقل إلى بلجيكا عندما كان مراهقًا، وجنى أموالًا من عمله الصغير كمجرم. وبعد تحوله إلى الراديكالية، استخدم مهاراته الإجرامية (وكاريزمته الملموسة) في تجنيد الشباب، وأغلبهم ذوو خلفية مغربية، كمقاتلين جهاديين. وعلى وجه الخصوص، شجعهم على ارتكاب السرقة وأعمال السطو[٤٧]، التي بررها على أساس ديني. طبقًا لرواية أحد الشهود في محاكمته،

(٤٥) المرجع السابق.

(٤٦) Thomas Joscelyn, "Anwar al Awlaki: Jihadists Should Steal from Disbelievers", *Long War Journal*, www.longwarjournal.org/archives/2011/01/anwar_al_awlaki_jiha.php

(٤٧) Patrick J. McDonnell, "'Papa Noel', The Militant Recruiter in Brussels Who Groomed Young Men for Violence", *Los Angeles Times*, www.latimes.com/world/europe/la-fg-belgium-recruiter-20160328-story.html

أخبر الزرقاني مجنديه «السرقة من الكفار يجيزها الله»[٤٨]. ووزعت الأموال المسروقة على المجموعة، واستخدمت في تمويل سفرهم إلى سوريا؛ ما أكسب الزرقاني لقب «بابا نويل»[٤٩].

قبل القبض عليه عام ٢٠١٤، أصبح الزرقاني شخصية بالغة التأثير في المشهد الجهادي ببروكسل، وكان مسئولًا عن تجنيد وحشد ما يصل إلى ٧٢ مقاتلًا أجنبيًّا[٥٠]. كان أحد أتباع الزرقاني المحميين عبد الحميد أبا عود، وهو منسق رئيس في الشبكة التي خططت لهجمات باريس في نوفمبر ٢٠١٥، وهجمات بروكسل في مارس ٢٠١٦. أكثر من أي مثال آخر، توضح الهياكل التنظيمية التي بناها الزرقاني الاندماج شبه الكامل بين الأوساط الجهادية والإجرامية في بلجيكا؛ وهو ما يساعد على شرح لماذا أنتج ذلك البلد الصغير قرابة ٥٠٠ جهادي في أربع سنوات فقط.

التجنيد

هل يعني هذا أن المجرمين يتم استهدافهم أو تجنيدهم عمدًا من قبل المتطرفين؟ الدليل على هذا غير متماسك. في حقيقة الأمر، يتسم حجم البروباجندا التي تستهدف المجرمين على وجه التحديد بالندرة النسبية. تعد شبكة راية التوحيد التي تضم الجهاديين البريطانيين في سوريا، والتي انضمت إلى تنظيم الدولة عام ٢٠١٤، هي المجموعة الوحيدة التي اتبعت هذا التكتيك. على سبيل المثال، تم إهداء أحد فيديوهات الشبكة إلى «كل إخوتنا الذين يسألوننا النصح عن كيفية ترك (حياة العصابات) خلفهم والعيش في الجهاد». وبينما يرتدي أحدهم قناعًا ويحشو بندقيته اليدوية بالرصاص، يخطب قائلًا:

«في الحقيقة كلكم غارقون في الخطيئة؛ لأنكم تعرفون في أعماقكم ما تفعلونه، وأنكم لا تتغيرون. أين أنتم عندما يذبحون أطفالنا وآباءنا؟

(٤٨) Andrew Higgins and Kimiko De Freytas Tamura, "A Brussels Mentor Who Taught 'Gangster Islam' to the Young and Angry", *New York Times*, www.nytimes.com/2016/04/12/world/europe/a-brussels-mentor-who-taught-gangster-islam-to-the-young-and-angry.html

(٤٩) Pieter Van Ostaeyen, "Belgian Radical Networks and the Road to the Brussels Attacks", *CTC Sentinel 9*, no. 6 (Jun 2016): 7-11.

(٥٠) Pieter Van Ostaeyen and Guy Van Vlierden, "Belgian Fighters in Syria and Iraq: A Closer Look at the Converts", *Bellingcat*, www.bellingcat.com/news/mena/2017/05/11/belgian-fighters-syria-iraq-closer-look-converts/

ففيمَ تتباهون؟ وأنتم تعيشون حياة العصابات المدعاة، وتستمعون إلى ستايلس بي Styles P [مغني راب أمريكي] في غرف نومكم أو في زنازين السجن... أدعوكم جميعًا إلى أرض الجهاد»(٥١).

استخدمت الحملة أيضًا شعار «في بعض الأحيان، يبني الأشخاص ذوو الماضي الأسوأ مستقبلًا أفضل»، إلى جانب نصوص تشرح سبب أن «الجهاد تطهير مهما كانت الخطايا التي تحملها، فالأعمال الصالحة ليست مطلوبة قبله»(٥٢). من غير المعروف مدى تأثير أنواع التجنيد الذي تتبناه شبكة راية التوحيد على الإنترنت، مع الأخذ في الاعتبار أن كل المؤيدين الذين جمعنا معلومات حولهم لم يتم تجنيدهم من خلال البروباجندا الإلكترونية، بل من خلال شبكات الأصدقاء(٥٣).

تقدم الجماعة السلفية الدنماركية Kaldit til Islam «نداء الإسلام» مثالًا آخر(٥٤). قامت الجماعة بكتابة خطابين إلى أعضاء بعض أفراد العصابات المسجونين في كوبنهاجن؛ حيث استهدفت ضمائرهم المذنبة وشجعتهم على العودة إلى الإسلام. كذلك نشرت صفحة الجماعة على الفيسبوك تواصلها مع السجناء، وذكرت أن المسلمين السجناء «قد حادوا عن طريق الصواب، لذا فكرنا في أن نرسل لهم خطابات تذكرهم بالله. ففي النهاية، لديهم الكثير من الوقت للقراءة»(٥٥). مرة أخرى، فبينما يظل من غير المعروف مدى تأثير هذه الطريقة (لم تشهد الجماعة أيًّا من المجندين ذوي السوابق الإجرامية وهو يسافر إلى سوريا)، فهي تمثل طريقًا مستجدة في التواصل مع السجناء.

(٥١) «فيديو راية التوحيد»، #1397571049_9e3=i?com/view/www.liveleak ,*Liveleak*.

(٥٢) Aris Roussinos, "Behead First, Ask Questions Later: The Disturbing Social Media of British Jihadists", Vice News, https://news.vice.com/article/behead-first-ask-questions-later-the-disturbing-social-media-of-british-jihadists

(٥٣) للتعرف على حدود دور البروباجندا الجهادية في التجنيد، انظر:
Charlie Winter, *The Virtual 'Caliphate': Understanding Islamic State's Propaganda Strategy*, foreword by Hars Rafiq ([London]: Quilliam, 2015): 35, online e-book, www.stratcomcoe.org/download/file/fid/2589

(٥٤) ليس لدى طارق نفسه سجل إجرامي، على عكس الكثيرين في جماعة نداء الإسلام، الذين تم تضمينهم في العينة.

(٥٥) Simon Bendtsen, Mette Dahlgaard and Kasper Krogh, "Fængslede muslimer skal have brev fra ekstreme Islamister", *Berlingske*, www.b.dk/nationalt/faengslede-muslimer-skal-have-brev-fra-ekstreme-islamister

٤- السجون

لمدة ما يقارب العقد، كانت السجون الأوروبية موضع الاهتمام باعتبارها الأماكن التي يقع فيها التحول نحو الراديكالية وعمليات التجنيد، وفي بعض الأحوال التخطيط العملياتي[٥٦]. إن السبب الرئيس للأهمية الكبرى التي أصبحت عليها السجون هو أنه على العكس من التنظيمات القومية الانفصالية، مثل الجيش الجمهوري الأيرلندي أو تنظيم وطن وحرية الباسك المعروف بـ«إيتا»، والتي تعد مقاتليها سجناء «سياسيين»، ومن ثم لا شأن لهم بالمجرمين العاديين مثل القتلة واللصوص والمغتصبين، يرى الجهاديون أن السجون أماكن هامة يمكن من خلالها نشر أيديولوجيتهم وتجنيد أعضاء جدد. على سبيل المثال، كان كثيرًا ما يتحدث أبو قتادة الذي كان يشار إليه بأنه «سفير أسامة بن لادن في أوروبا»، عن رؤيته للإشارات الربانية في السجون البريطانية حيث كان «الشبان يعتنقون الإسلام. ويتعلمون العربية والشريعة في عدد قليل من الشهور»[٥٧].

تبدو حقيقة الأهمية التي تمثلها السجون لمن لهم تواريخ إجرامية جلية. لقد تعرض ٥٧٪ من الأشخاص المسجلين في قاعدة البيانات أي (٤٥ من أصل ٧٩) إلى التوقيف قبل تحولهم إلى الراديكالية بفترة تتراوح من شهر إلى عشر سنوات؛ بسبب جنايات متنوعة تتراوح من الجرائم الهينة إلى العنيفة. والأكثر أهمية أن ٣١٪ من هؤلاء (أي ١٤ من ٤٥) تحولوا إلى الراديكالية في السجون، وإن كانت عملية التحول إلى الراديكالية بالنسبة إلى الأغلبية منهم قد استمرت وتصاعدت بعد إطلاق سراحهم. ومع الأخذ في الاعتبار التصاعد الأخير في عدد الاعتقالات والإدانات المتعلقة بالإرهاب، والعدد المتزايد سريعًا للإرهابيين المدانين في الاحتجاز، فمن المحتمل أن تكون السجون أكثر أهمية، ولا أقل أهمية، باعتبارها مراكز لجذب الحركة الجهادية.

تؤكد الحالات الواردة في قاعدة بياناتنا الطرق المختلفة التي تعلي من أهمية السجون في التحول إلى الراديكالية. أولًا: أنها أماكن قابلة للتأثير، قد يجد فيها الجهاديون الكثير من

(٥٦) Peter R. Neumann, *Prisons and Terrorism: Radicalisation and De-radicalisation in 15 Countries* (London: The International Centre for the Study of Radicalisation and Political Violence (ICSR); National Consortium for the Study of Terrorism and Responses to Terrorism (START), 2010), online e-book, http://icsr.info/wp-content/uploads/2012/10/1277699166PrisonsandTerrorismRadicalisationandDeradicalisationin15Countries.pdf

(٥٧) المرجع السابق: ٢٥.

«الشباب الصغار والغاضبين» ذوي التاريخ الإجرامي، الذين قد يكونون قد تعرضوا لبدايات إدراكية، ومستعدين للتجنيد والتحول إلى الراديكالية. وثانيًا: تجمع السجون ما بين الإرهابيين والمجرمين بما يصنع من ثم فرصًا للتعاون و«نقل المهارات». وأخيرًا: لا تمنح السجون من يقضون فترة أحكامهم الكثير من الفرص كي يعاد دمجهم في المجتمع ويصبحوا مواطنين منتجين.

القابلية للتأثر

بالنسبة إلى كثير من النزلاء الجدد، يعد السجن أزمة شخصية تثير العديد من التساؤلات حول حياتهم في الوقت الواسع الذي يقضونه في البحث عن معنى لها. لقد فصلوا عن أسرهم وأصدقائهم المقربين والمجتمع بأسره، حتى وجدوا أنفسهم في بيئة غالبًا ما تكون معادية وغير مألوفة وقبلية بطبيعتها؛ حيث تسود الانقسامات على خطوط دينية وإثنية. ببساطة، السجون هي أماكن يكون نزلاؤها أكثر عرضة نفسيًّا وماديًّا لتجريب «الاستهلالات الإدراكية»، التي تتمثل في الإرادة والغربة في تعريف أنفسهم بأفكار واعتقادات وتنظيمات اجتماعية جديدة(٥٨).

للسبب نفسه، يرى القائمون على التجنيد من الجهاديين السجون مواضع فرصة. ففيها لا يكون النزلاء معرضين للاستهلالات الإدراكية، بما يجعلهم مستقبلين للأفكار الجهادية، بل يميلون أيضًا إلى أن يكونوا جزءًا من قطاعات سكانية تسعى التنظيمات الجهادية دائمًا إلى جذبها، مثل الشباب الصغار ذوي الخلفيات المسلمة غير المتآلفين مع دينهم، لكنهم يتسمون بالاندفاع والثقة والرغبة في المخاطرة؛ وكانوا قد خاضوا صراعًا ضد الدولة ومؤسساتها القائمة(٥٩). وبدلًا من أن يكون ماضيهم الإجرامي عائقًا أمامهم، أزال هذا الماضي حساسيتهم من خرق القانون أو ممارسة العنف، وربما قد زودهم بمهارات يمكن استخدامها في العمليات الإرهابية. باختصار، بالنسبة إلى الجهاديين، فالسجون «أماكن تفريخ» مثالية.

نالت المشكلة الاعتراف، إلا أن القليل قد بُذل لحلها (انظر على سبيل المثال دراسة الحالة رقم (٢)). إحدى الصعوبات الرئيسة التي تواجه سلطات السجون تتمثل في التمييز بين الحوار

(٥٨) المرجع السابق: ٢٦.

(٥٩) Andrew Silke, "Holy Warriors: Exploring the Psychological Processes of Jihadi Radicalization", *European Journal of Criminology* 5, no. 1 (January 2008): 107.

الدينـي والحوار الراديكالي. قد تقود الاستهلالات الإدراكية العديد من النزلاء إلى السعي وراء إجابات روحانية، وبالتبعية يتحول عدد معتبر منهم إلى الإسلام الذي أصبح أكثر الأديان انتشارًا وراء جدران السجون [الأوروبية]. وفي كثير من الأماكن، يجد القائمون على السجون صعوبة في «تحديد الإشارات» والتمييز بين التحول الدينـي (الشرعي) والتحول إلى الراديكالية (التـي من الممكن أن تكون إشكالية)، خاصة أن الإشارات الخارجية قد تكون متماثلة، أو ربما متطابقة. بالإضافة إلى هذا، لم تتمكن نظم السجون في حل المعضلة الواقعة بين عزل الإرهابيين المدانين (وهو ما يحمل مخاطرة تكوين أو إعادة تكون هيكل «قيادة وتحكم» إرهابي داخل السجن)، أو دمجهم مع المجرمين «العاديين» (وهو ما يقدم لهؤلاء المتطرفين فرصًا للاقتراب من المجندين المحتملين)[٦٠].

إجمالًا، ربما تكون الجهود المقصودة لاستهداف المجرمين، سواء من خلال البروباجندا أم من خلال اللقاءات المباشرة وجهًا لوجه أكثر محدودية مما نتوقع، فإن القليل معروف عن نجاحها. من وجهة نظرنا، يشير هذا إلى أن التواصل ليس طبقًا لنظام، لكنه ينتج عن التلاقي (غالبًا ما يكون غير مقصود) بين الأوساط والسرديات التـي تنتج الرابطة [الإجرامية الإرهابية] الجديدة.

دراسة الحالة ٢: هاري سارفو

رحل هاري سارفو، وهو من مدينة بريمن شمال ألمانيا إلى تركيا في إبريل ٢٠١٥، بجواز سفر أحد أصدقائه، ثم استخدم بعد ذلك مهربين لعبور الحدود التركية السورية[٦١]. التحق سارفو بالتدريب ضمن تنظيم الدولة الإسلامية، وعرض عليه القيام بدور ضمن جهاز شرطة التنظيم، لكنه التحق في النهاية بالقوات الخاصة. وعلى الرغم من أن سارفو يصر أنه لم يحارب في معارك التنظيم أو يعدم أحدًا، فإنه يظهر في أحد شرائط التنظيم الدعائية وهو يرفع علمًا أسود، كذلك تم تصويره وهو يصنع فيلمًا لإحدى عمليات الإعدام في تدمر[٦٢].

(٦٠) Neumann, *Prisons and Terrorism*: 13-21, 25-34.

(٦١) Jörg Diehl *et al*., "Back from the 'Caliphate': Returnee Says IS Recruiting for Terror Attacks in Germany", *Der Spiegel*, http://www.spiegel.de/international/world/german-jihadist-returns-from-syria-and-gives-testimony-a-1067764.html

(٦٢) Harald Doornbos and Jenan Moussa, "Present at the Creation: The Never-Told-Before Story of the Meeting that Led to the Creation of ISIS, as Explained by an Islamic State Insider", *Foreign Policy*, http:///foreignpolicy.com/2016/08/16/present-at-the-creation

من الواضح أن إحباط سارفو قد ازداد تجاه التنظيم بسبب معاملته لمجنديه والشقة المتسعة بين الواقع والبروباجندا[٦٣]. تمكن سارفو، الذي عقد النية على الرحيل، من الهروب من التنظيم عبر الحدود التركية سيرًا على القدمين. ومنذ عودته إلى ألمانيا، تم احتجازه بتهم الإرهاب حيث يتعاون مع السلطات[٦٤].

بدأت رحلة سارفو نحو التطرف من السجن. فقد حكم عليه بسنتين مشددتين بتهمة السرقة؛ ففي العام ٢٠١٠، سرق سارفو وزملاؤه مبلغ ٢٣,٥٠٠ يورو من محل تجاري كبير[٦٥]. وقبل أسابيع قليلة فقط من سفره إلى سوريا، قضى سارفو مدته في السجن ثم نشر صورة له على انستجرام، وعليها تعليقه: «أتذكر الله سبحانه وتعالى، وأقرأ القرآن، وأقيم الصلوات، وهذا جعلني أتحمل فترة العقوبة بالسجن في ألمانيا. لقد جعلتني هذه الفترة أقرب إلى خالقي»[٦٦].

تؤكد رواية سارفو عن التحول إلى الراديكالية أهمية الاعتقاد، إلا أنها تلغي دور الاختلاط الاجتماعي المباشر مع المتطرفين المعروفين. وفي الواقع التقى سارفو في السجن برينيه مارك سيباك، وهو جهادي ألماني حكم عليه بعقوبات على تهم متعلقة بالإرهاب. تواصل سيباك مع سارفو في الأسبوع الأول من سجنه، وأقنعه أن الإسلام الذي يمارسه خاطئ. وأعطاه كتبًا سلفية وجلس معه يوميًّا لتدارسها والعمل عليها، ما جعل سارفو منفعلًا بالدين الجديد الذي كان يكتشفه. لقد قال للمحققين لاحقًا «شرحت تلك الكتب كل شيء لي... لقد كانت دقيقة ومباشرة... وفكرت أنه ويالالعجب لم أعرف أيًّا من تلك الأمور من قبل؛ فلم يكن لدي أي معرفة [قبل لقاء سيباك]»[٦٧].

أدى هذا إلى ملاحظة سلطات السجن التغيرات في سلوك سارفو. فإن تصرفاته فور خروجه من السجن تؤكد أهمية الآليات الاجتماعية. فقد أصبح سارفو عضوًا دائمًا

(٦٣) Lizzie Dearden, "Former Isis Militant Reveals Reality of 'Staged' Propaganda Videos and Brutal Life Under the 'Islamic State'", The Independent, www.independent.co.uk/news/world/middle-east/former-isis-militant-harry-sarfo-uk-reveals-reality-of-staged-propaganda-videos-and-brutal-life-a6982831.html

(٦٤) Jörg Diehl *et al.*, "Back from the 'Caliphate'".

(٦٥) المرجع السابق.

(٦٦) Black_Bilal (Harry Sarfo), "'black_bilal' #TBT Remembering Allah swt", *Instagram*, www.instagram.com/p/ydHvQgqRxA/

(٦٧) Generalbundesanwalt, Vernehmungsprotokoll der Beschuldigten vernehmung vom 15. Dezember 2015.

في جمعية Islamischer Kultur und Familienverein (IKF) «جمعية الثقافة والأسرة الإسلامية»؛ وهي تنظيم متطرف صغير في ضواحي بريمن كجزء من مجموعة أرسلت في النهاية ٢٧ شخصًا إلى سوريا.

التشبيك

إذا لم يعزل المتطرفون كليًّا عن بقية نزلاء السجن، وهو أمر -كما ذكر من قبل- ليس ممكنًا ولا ينصح به في كل الأحوال، فإن بيئة السجون لديها الإمكانية كي تؤسس للرابطة بين الإرهابيين والمجرمين، وهو ما يمكِّن من تدفق المعلومات والأشخاص والمهارات بين الجانبين. إن في هذا فائدة أعظم للمتطرفين منها للمجرمين. فلا يصبح لدى هؤلاء فرص الحصول على مستهدفين للتحول إلى الراديكالية فقط، بل يمتلكون أيضًا القدرة على استخدام مهارات المجرمين وروابطهم غير الشرعية، وهو ما يسهل الحصول على الوثائق المزورة والأسلحة والأموال والسلع والأماكن الآمنة (انظر الفصل رقم ٦). تصبح السجون مواقع يمكن فيها للأوساط الإجرامية والإرهابية أن تندمج أكثر من أي مكان آخر بالخارج؛ كما يصبح لديها الإمكانية لإنتاج إرهابيين، لديهم المزيد من المهارات والأدوات.

المثال الأهم على هذا هو شريف كواشي وآميدي كولبيالي وجمال بغال. التقى كواشي وكولبيالي للمرة الأولى في سجن فلوري ميرجوي بالقرب من باريس عام ٢٠٠٧، وبنيا صداقتهما بعد قضاء سبعة أشهر في الجناح نفسه[٦٨]. حظي كولبيالي بتاريخ حافل من السرقات المسلحة، وسجن بتهمة السرقة والقبول ببضائع مسروقة واستخدام لوائح أرقام مزورة[٦٩]. أما كواشي، فكان في ذاك الوقت محبوسًا احتياطيًّا في انتظار المحاكمة على محاولته السفر إلى العراق كي يصبح مقاتلًا أجنبيًّا في العام ٢٠٠٥[٧٠]. في السجن، لقي الثنائي، أحدهما مجرم عادي والآخر متطرف، رعاية وتحولًا إلى الراديكالية على يد جمال بغال وهو أحد القائمين على التجنيد في القاعدة[٧١].

(٦٨) Angelique Chrisafis, "Charlie Hebdo Attackers: Born, Raised and Radicalised in Paris", *The Guardian*, www.theguardian.com/world/2015/jan/12/-sp-charlie-hebdo-attackers-kids-france-radicalised-paris

(٦٩) المرجع السابق.

(٧٠) Scott Bronstein, "Chérif and Said Kouachi: Their Path to Terror", *CNN*, https://edition.cnn.com/2015/01/13/world/kouachi-brothers-radicalization/index.html

(٧١) Chrisafis, "Charlie Hebdo Attackers".

بعبارة أخرى، سمح السجن لتلك الشبكة البدائية بأن تتأسس؛ وهي الشبكة التـي وصلت ذروة نشاطها بالترتيب لهجمات باريس في يناير ٢٠١٥ حيث قتل ١٧ شخصًا.

وعلى الرغم من هذا، استغرق الأمر أكثر من ثماني سنوات منذ لقائهما كي يتحركا تجاه العنف الإرهابي. في تلك الأثناء، دفعهما العديد من الأحداث إلى تحولهما الراديكالي. لقد ظلا مواظبين على اللقاء مع جمال بغال بعد إطلاق سراحهما(٧٢)؛ وتورطا في عملية تهريب لأحد السجناء الجهاديين في عام ٢٠١٠، وتضمنت العملية تخزين أسلحة وذخائر(٧٣)؛ وسافر شريف كواشـي مع أخيه سعيد إلى اليمن والتقيا بأنور العولقي شخصيًّا في عام ٢٠١١، وتلقيا تدريبًا في أحد معسكرات تنظيم القاعدة في الجزيرة العربية(٧٤). باختصار، كانت تلك الأحداث التـي شهدها هؤلاء فيما بعد إطلاق سراحهم في أهمية تلك التـي شهدوها في السجن.

ما بعد إطلاق السراح

في كل الحالات ذات الصلة في عينتنا، لم تنته عمليات التحول الراديكالية التـي بدأت في السجون هناك. بل الأكثر من ذلك، فهناك أربع شخصيات، تم «تصنيفهم» باعتبارهم «راديكاليين» من قِبل سلطات السجن، إلا أنه لم يجرِ تعقبهم بعد ذلك من قِبل الشرطة أو أجهزة المخابرات. المثال الأقوى على ذلك هو مهدي نموش، وهو مواطن فرنسـي قتل أربعة أشخاص في المتحف اليهودي ببروكسل في مايو ٢٠١٤. وعلى الرغم من أن نموش قد صنف على أنه «راديكالي» من قِبل سلطات السجن، فإنه نجح في السفر إلى سوريا بعد ثلاثة أسابيع من إطلاق سراحه(٧٥).

(٧٢) "Ce que l'on sait sur la radicalisation des frères Kouachi", *Le Monde.fr*, www.lemonde.fr/societe/article/2015/01/09/ce-que-l-on-sait-sur-la-radicalisation-des-freres-kouachi_4552422_3224.html

(٧٣) Emeline Cazi *et al.*, "Terrorisme : La fratrie Kouachi, de la petite délinquance au djihad", *Le Temps*, www.letemps.ch/monde/fratrie-kouachi-petite-delinquance-djihad

(٧٤) Yara Bayoumy and Mohammad Ghobary,"Both Brothers behind Paris Attack Had Weapons Training in Yemen: Sources", *Reuters*, www.reuters.com/article/us-france-shooting-yemen/both-brothers-behind-paris-attack-had-weapons-training-in-yemen-sources-idUSKBN0KK0F620150111

(٧٥) عند عودته إلى أوروبا، قام بقتل أربعة أشخاص عند المتحف اليهودي ببروكسل، انظر:
Scott Sayare,"Suspect Held in Jewish Museum Killings", *The New York Times*, www.nytimes.com/2014/06/02/world/europe/suspect-arrested-in-jewish-museum-killings-in-belgium.html

تضاهي هذه الحالة في الأهمية حالة عمر الحسين، الذي قتل شخصين خلال إطلاق نيران في مركز ثقافي ومعبد يهودي في كوبنهاجن في فبراير ٢٠١٥. التحق الحسين وهو مراهق بعصابة بروثاس في حي ميوإنيربارکن Mjølnerparken بكوبنهاجن، وتورط في عمليات سطو ومخدرات وجرائم صغيرة[٧٦]. وفي نوفمبر ٢٠١٣، طعن الحسين شخصًا على متن قطار في اعتداء كان من الواضح أنه غير مبرر. وبعد شهرين من فراره ألقي القبض عليه[٧٧]. وبعد أن حكم عليه بقضاء عامين في السجن[٧٨]، تحدث الحسين علنًا وبشكل متكرر عن رغبته في القتال في سوريا، بما دفع السلطات إلى تصنيفه على أنه من المحتمل تحوله إلى الراديكالية[٧٩]. وخلال فترة سجنه، أبلغ عنه ثلاث مرات، إلا أنه لم يتم التحقيق في أي بلاغ من تلك البلاغات[٨٠].

عندما أطلق سراح الحسين، لم يكن لديه القدرة على الحصول على فترة إيقاف عقوبة؛ لأنه كان نظريًّا خاضعًا لإطلاق السراح المشروط. ظهر الحسين الذي كان بلا مأوى وبلا عمل في أحد مراكز التوظيف المحلية؛ حيث طلب مكانًا يقيم فيه ووظيفة يقوم بها[٨١]. لم يكن مركز التوظيف قادرًا على تلبية طلبه، وأُعطي موعدًا باجتماع آخر؛ وبدلًا من القدوم، نفذ هجومه، بعد أسبوعين فقط من إطلاق سراحه.

يوضح تحول الحسين السريع إلى الراديكالية كيف أصبحت إمكانية التلاقي بين الخلفيات الإجرامية والدوافع الجهادية في غاية الخطورة. لقد تحولت السجون إلى أماكن يتقارب فيها السوطان أيما تقارب، وتزيد احتمالية اتضاح كل الظواهر والآليات الاجتماعية التي أشير

(٧٦) Cecilie Lund Kristiansen, "Overblik: Det ved vi om gerningsmandens 22-årige liv", *Politiken*, https://politiken.dk/indland/fokus_danmark/fokus_terror/art5566491/Overblik-Det-ved-vi-om-gerningsmandens-22-%C3%A5rige-liv

(٧٧) المرجع السابق.

(٧٨) Emma Toft, "Baggrund: Her er hvad vi ved om Omar Abdel Hamid El-Hussein", *DR*, www.dr.dk/nyheder/indland/baggrund-her-er-hvad-vi-ved-om-omar-abdel-hamid-el-hussein

(٧٩) Morten Frish, Mette dahlgaard and Kasper Kildgaard Sørenson, "Omar ville til Syrien for at kæmpe", *BT NYheder*, www.bt.dk/tech/omar-ville-til-syrien-for-at-kaempe

(٨٠) Simon Andersen and Thomas Foght, "Pet: Omar Havde Planer om at Flygte Efter Terror-Angreb", *BT NYheder*, www.bt.dk/danmark/pet-omar-havde-planer-om-at-flygte-efter-terror-angreb

(٨١) Eva Jung and Mette Dahlgaard "Omar El-Hussein bad kommunen om hjælp kort før terrorangreb", *Berlingske*, www.b.dk/nationalt/omar-el-hussein-bad-kommunen-om-hjaelp-kort-foer-terrorangreb

إليها في هذا التقرير. مع تزايد أعداد الإرهابيين الذين يحكم عليهم ويودعون في السجون، من المحتمل أن تكون هذه المشكلات أكثر اتضاحًا.

٥- نقل المهارات

إن أحد الجوانب الأكثر إزعاجًا في الرابطة الإرهابية الإجرامية الجديدة هي إمكانية نقل «المهارات الإجرامية» إلى الإرهابيين. ولطالما تجاهلت الأدبيات الأكاديمية حول رابطة الإجرام - الإرهاب هذه الظاهرة. وكثيرًا ما قيل إن التنظيمات الإرهابية دائمًا ما تسعى إلى تعويض العجز في مهاراتها التدريبية من خلال التعاون مع الجريمة المنظمة. لو كان هذا مستحيلًا أو نظر إليه على أنه عمل محفوف بالمخاطر، لكانت تلك التنظيمات ستسعى إلى تطوير تلك المهارات التدريبية[٨٢]. نادرًا ما يجري تناول تورط المجرمين، سواء جرى تجنيدهم عمدًا أم لا؛ لأن هذا يتفادى النقاش حول التعاون ما بين التنظيمات الإرهابية والإجرامية.

في نظرنا، يتجاهل هذا الفهم للرابطة الإجرامية الإرهابية القيمة الممكنة التي يمثلها الأفراد ذوو الماضي الإجرامي بالنسبة إلى الجماعات الإرهابية، والكيفية التي يزيد بها اندماج الأوساط الإرهابية والإجرامية من قدرة الجماعات الإرهابية على تنفيذ عمليات أكثر تدميرًا. وفي الحقيقة هناك العديد من المهارات التي من الممكن لأي إرهابي ذي ماضٍ إجرامي أن يطورها. فالمجرمون لديهم خبرات في التعامل مع تطبيق القانون، والأكثر أهمية أنهم قد يكونون قادرين على التعرف على حدود قوة الشرطة. ويتسم المجرمون بالابتكار أيضًا، وغالبًا ما يمتلكون القدرة على التحكم في أعصابهم والتعامل مع الضغط.

وبعيدًا عن هذا، هناك العديد من القضايا التي تقدم قاعدة بياناتنا دليلًا عليها؛ أولًا: غالبًا ما يكون الأفراد ذوو الماضي الإجرامي قادرين على الوصول إلى الأسلحة؛ وثانيًا: مثل هؤلاء بارعون في البقاء تحت رادار المراقبة مع التخطيط لخدمات دعم سرية؛ وثالثًا: تخفض خبرتهم وألفتهم مع العنف من الحاجز (النفسي) بينهم وبين التورط في الجريمة.

(٨٢) Makarenko, "The Crime-Terror Continuum": 33.

الأسلحة

من نافلة القول إنه ليست كل الهجمات الإرهابية بحاجة إلى أسلحة نارية. فطالما شجع تنظيم الدولة الإسلامية مؤيديه على استخدام المواد اليومية. قال المتحدث الراحل باسم التنظيم أبو محمد العدناني في خطاب شهير «إذا لم تجد رصاصة، فحطم رأس [الكافر] بحجر، أو اذبحه بسكين، أو ادعسه بسيارتك، أو ألقِ به من مكان مرتفع، أو اخنقه، أو سممه»(٨٣). اتضحت المذبحة الهائلة التي قد تسببها هذه التعليمات في مدينة نيس الفرنسية في يوليو ٢٠١٦، عندما قتل ٨٥ شخصًا مهاجم اندفع بشاحنة في وسط الزحام. ومع ذلك، يبقى للبنادق والقنابل دور بارز في العمليات الجهادية، وللبنادق على وجه الخصوص شيوع أكثر.

في بداية عام ٢٠١٣، حذر تقرير مخابرات دنماركي من أن التحاق عدد كبير من المجرمين بالتنظيمات الإرهابية قد يؤدي إلى انتشار الأسلحة النارية في أوساط الإرهابيين المحتملين(٨٤). بعد عامين من هذا التقرير، تحققت تلك المخاوف. ما بين الهجومين اللذين شنهما عمر الحسين بالبندقية (انظر الفصل السابق)، ذهب الحسين إلى ضاحية ميلونيباركن حيث تخلص من بندقية M95 التي سرقها من أحد المنازل واستخدمها في الهجوم الأول(٨٥). ثم زار مقهى للإنترنت حيث تقابل مع زملائه السابقين في العصابة، والذين زودوه بالذخائر التي استخدمها في الهجوم التالي. باختصار، لولا الماضي الإجرامي للحسين، لوجد أنه من الصعب جدًّا، وربما من المستحيل، أن يحظى بالأدوات التي نفذ بها هجوميه.

الأمر نفسه ينطبق على أميدي كوليبالي. وفقًا لتاجر السلاح الذي باعه الأسلحة، فإن معضلة «المكسب في مقابل الأيديولوجيا» كانت موضع جدل كبير؛ فهو لم يعرف أن كوليبالي كان إرهابيًّا. فعند مشاهدته التقارير الإعلامية، ذهب هذا التاجر من تلقاء نفسه إلى الشرطة

(٨٣) Abu Muhammad Al-Adnani Ash Shami, *Indeed Your Lord Is Ever Watchful* (n.p., 2014), online e-book, https://scholarship.tricolib.brynmawr.edu/bitstream/handle/10066/16495/ADN20140922.pdf

(٨٤) Center for Terror Analyse, *Truslen mod Danmark fra personer udrejst til Syrien* (Odense, Denmark: Center for Terror Analyse (CTA), 2013): 3, online e-book, www.pet.dk/Nyheder/2013/~/media/CTA/20131124SyrienUKLASSENDENDpdf.ashx

(٨٥) Niels Vedersø Østergaard, "Terrortiltalt hjalp Omar El-Hussein", *Berlingske*, www.b.dk/nationalt/terrortiltalt-hjalp-omar-el-hussein; Michala Rask Mikkelsen, "Riffel fra terrorangreb blev stjålet under hjemmerøveri", *Berlingske*, www.b.dk/nationalt/riffel-fra-terrorangreb-blev-stjaalet-under-hjemmeroeveri يعرف طراز البندقية RK 95 TP

واعترف بإمداد كوليبالي بمسدسات رشاشة من نوعية سكوربيون ومطلق صواريخ، وبندقيات AK-47 [كلاشنكوف]، استخدمها الأخوان كواشـي في هجومهما(٨٦). اعتقد هذا التاجر أن تلك الهجمات ستدل الشرطة على طريقه في كل الأحوال. وفي الحقيقة، لو كان قد عرف بنيات كوليبالي الحقيقية، لربما كان مترددًا في توفير تلك الأسلحة.

لقد اعترف تنظيم الدولة الإسلامية نفسه بقيمة الأعضاء العاملين الذين يظهرون مثل المجرمين «العاديين». ألقى عدد يوليو ٢٠١٥ من مجلة التنظيم الناطقة بالفرنسية والمعروفة بـ«دار الإسلام» الضوء على تعليمات الحصول على الأسلحة، التـي نصح العاملون وفقًا لها بإخفاء مظاهر التدين الخارجي وتبنـي «مظهر الفتـى القادم من المدينة»، الذي يسعى إلى «ارتكاب جريمة سرقة بقوة السلاح»(٨٧). وكما اتضح، كانت هذه النصيحة غير ضرورية، حيث تناسب عديد من مؤيدي التنظيم مثل الحسين وكوليبالي مع هذا الشكل على نحو ممتاز.

البقاء «تحت الرادار»

بالإضافة إلى الحصول على الأسلحة، هناك عمليات نقل ذات قيمة بالنسبة إلى التنظيمات الإرهابية. ويتضمن هذا على سبيل المثال استخدام الوثائق المزورة والولوج إلى المنازل الآمنة التـي تمكِّن الإرهابيين من تجنب السلطات؛ ومن ثم تزايد احتمالية تدبير مخططات تتحول إلى هجمات ناجحة. بعبارة مبسطة، يسهل الحصول على مهارات إجرامية من بقاء الإرهابيين «تحت الرادار».

ما يهم في هذا الصدد ليس قدرات محددة قد يمتلكها المجرمون السابقون أنفسهم (وربما لا يمتلكونها)، بل قدرتهم على التوصل إلى الشبكات (الإجرامية) التـي من الممكن أن يتحركوا من خلالها. على سبيل المثال، من الصعب على الإرهابيين أن يقوموا بعمليات التزوير منزليًّا. (تحتوي

(٨٦) "Charlie Hebdo : Un Carolo se rend à la police prétendant avoir eu des contacts avec Coulibaly", *Le Vif*, www.levif.be/actualite/belgique/charlie-hebdo-un-carolo-se-rend-a-la-police-pretendant-avoir-eu-des-contacts-avec-coulibaly/article-normal-361299.html

(٨٧) "Les règles de sécurité : Les règles de sécurité que tout musulman qui agit pour la religion doit respecter", *Dar Al-Islam*, no. 5 (Chawwal 1436 H): 33, online e-article, https://azelin.files.wordpress.com/2015/07/the-islamic-state-e2809cdc481r-al-islc481m-magazine-522.pdf

قاعدة بياناتنا على ثلاثة مجرمين فقط استخدموا هويات، سُرقت قبل تحولهم إلى الراديكالية)[٨٨]. في المقابل من المحتمل أن تكل هذه الشبكات الإرهابية تلك القدرة إلى الأشخاص المعروفين بكونهم خبراء فيها، والتي من المؤكد وجودهم فيها في الأوساط الإجرامية.

وفقًا لهاري سارفو (انظر الفصل السابق)، فإن تنظيم الدولة يعرف هذا. أخبر سارفو الصحافيين أنه بدلًا من البحث عن مزورين، كان التنظيم يحاول أن يزيد من المجرمين السابقين «ذوي الصلات بالجريمة المنظمة، والذين يعرفون كيفية تزوير الهويات الشخصية[٨٩]». وفي حالة الشبكة التي نفذت عملية باريس في نوفمبر ٢٠١٥ وبروكسل مارس ٢٠١٦، نجحت هذه الطريقة بوضوح (انظر الحالة الدراسية رقم ٣). وفيها، كما في حالات أخرى، لم يتشكل نقل المهارات من عمليات تزوير، بل من الوصول إلى شبكات إجرامية كانت في موضع الحصول على وثائق مزورة.

دراسة الحالة ٣: شبكة باريس- بروكسل

قبل شهر واحد من هجوم نوفمبر ٢٠١٥ بباريس، كانت الشرطة البلجيكية تحقق في عمليات تزوير على نطاق واسع ببروكسل. اكتشف المحققون في ضاحية سان جيل Saint-Gilles مصنع تزوير متقدم قام باستخراج مئات بطاقات الهوية المزورة ورخص القيادة وبطاقات التأمين الاجتماعي. كانت مستلزمات هذه الشقة كاملة بوجود طابعة سريعة وحواسب وطوابع لبطاقات الهوية والمئات من أفراخ الطباعة والأفلام السالبة لهويات مزورة. ومن بين هذه الأفلام السالبة كانت بطاقات الهوية المزيفة التي تم استخراجها من أجل خلية نفذت هجمات باريس في نوفمبر ٢٠١٥ وفي بروكسل مارس ٢٠١٦[٩٠].

وفي أعقاب هجمات باريس فقط، وعندما كان أحد منظميها وهو صلاح عبد السلام ملاحقًا، زار المحققون موقع عمليات التزوير مرة أخرى واكتشفوا علاقته بالإرهاب. وكما اتضح، فقد

(٨٨) Brahim Abdeslam (fraud/stealing IDs), Aria Ladjevardi (passport forgery) and Mohammed Merah (passport forgery).

(٨٩) Rukmini Callimachi, "How a Secretive Branch of ISIS Built a Global Network of Killers", *The New York Times*, www.nytimes.com/2016/08/04/world/middleeast/isis-german-recruit-interview.html

(٩٠) Maïa de la Baume and Giulia Paravicini, "Inside the Brussels Flat Where Terrorists Scored Fake IDs", *Politico*, www.politico.eu/article/brussels-attacks-terrorists-fake-ids-identification/

استخدمت الشبكة وثائق مزيفة في التخطيط للهجمات من أجل نقل الأموال بين بلدان مختلفة ولتأجير السيارات، والأهم من هذا من أجل الوصول إلى منازل آمنة(٩١).

على سبيل المثال، استخدم أحد المهاجمين وهو خالد البرقاوي هوية مزيفة متخذًا اسم إبراهيم معروف لتأجير شقة في حي شارلروا Charleroi؛ حيث استخدمها على الأقل مرتين في أثناء التخطيط للعملية(٩٢). واستخدمت شقة أخرى في حي شاربيك Schaerbeek كمصنع لتصنيع القنابل ولتصنيع متفجرات من مادة TATP والأحزمة الناسفة في هجمات باريس؛ وذلك تحت الاسم المستعار فرناندو كاستيلو(٩٣).

وحتى بعد الهجمات، ومع مخاطرة أعظم، استمرت الشبكة على نفس منوال العمل حيث استأجرت شقة أخرى في حي شاربيك، وكانت بمثابة مصنع قنابل لتصنيع حقائب TATP المتفجرة(٩٤). استخدم إبراهيم البرقاوي، وهو أخو خالد عند توقيع عقد الإيجار هوية بلجيكية مزورة متخذًا الاسم البرتغالي ميغيل دو سناتوس، وأكمل التزوير بارتدائه شعرًا مستعارًا ونظارات(٩٥).

بدلًا من أن يتحولوا إلى مزورين، استخدمت شبكة باريس- بروكسل علاقاتها داخل الوسط الإجرامي للتواصل مع المزورين الذين يتعاملون مع مهربي البشر. كانت هذه هي الطريقة التي تعرفوا بها على جمال الدين أولي؛ وهو جزائري قام بإدارة عملية التزوير في سان جيل. لم تكن ثنائية «الأيديولوجيا في مقابل الربح» التي دائمًا ما يتم تناولها بالنقاش في الأدبيات (انظر الفصل الثاني) عائقًا أمام هذا. في الحقيقة، لا يوجد دليل على أن أولي كان على علم بنياتهم الحقيقية، أو

(٩١) Lori Hinnant, "Piecing Together Salah Abdeslam's Itinerary in Paris Attacks", Alive, www.columbusalive.com/article/20151210/NEWS/151219959

(٩٢) "Ibrahim and Khalid el-Bakraoui: From Bank Robbers to Brussels Bombers", *The New York Times*, www.nytimes.com/2016/03/25/world/europe/expanding-portraits-of-brussels-bombers-ibrahim-and-khalid-el-bakraoui.html

(٩٣) Michael Wolgelenter, "ISIS Militant Returned to Belgium before Paris Attacks", *The New York Times*, www.nytimes.com/2016/01/14/world/europe/belgium-paris-attacks-safe-houses.html

(٩٤) Pedro Moreira, "Terrorista de Bruxelas usou nome português para arrendar apartamento" *tvi 24*, www.tvi24.iol.pt/geral/31-03-2016/terrorista-de-bruxelas-usou-nome-portugues-para-arrendar-apartamento

(٩٥) Ibrahim El Bakraoui usou um documento belga falso", tvi 24, www.tvi24.iol.pt/videos/internacional/ibrahim-el-bakraoui-usou-um-documento-belga-falso/56fd8d190cf2288d448c2640

أنه كان مهتمًّا بهم. في المقابل، من المحتمل أنهم بدوا كأنهم زبائن عاديون من الوسط الإجرامي. وكما قال المحقق البلجيكي في قضية أولي «لقد كان أولي مزور وثائق محترفًا، غايته الأساسية جمع ما أمكن من المال»[٩٦].

الألفة مع العنف

تكتمل هذه المهارات اللوجستية والعملية بمهارة أخرى غير ملموسة؛ وهي مهارة الألفة مع العنف. انخرط ٦٥٪ في قاعدة بياناتنا في الجرائم العنيفة. وترتفع هذه النسبة إلى ٨٠٪ بين ٣٠ فردًا كانوا متورطين في التخطيط لعمليات محلية.

ولا يعني هذا بالضرورة أن المجرمين المحليين يستخدمون أنواع العنف نفسها التي يمارسها الإرهابيون. فالإرهابي الذي يستخدم سكينًا لا يترابط دائمًا مع الشخص الذي يستخدم سكينًا كمجرم. إن ما نذهب إليه هو أن الانخراط في العنف على نحو متكرر وروتيني يمكن أن يخفض من الحاجز النفسي أمام التحول إلى الانخراط في العنف كإرهابي. بعبارة أخرى، بالنسبة إلى الشخص المتآلف مع استخدام العنف وأزيلت حساسيته من استخدامه، فستكون القفزة من التطرف الإدراكي إلى التطرف العنيف أصغر، ومن ثم ستصبح عملية التجنيد أسرع وأقل صعوبة.

من العسير تقديم الدليل على هذا الرأي بناء على المسارات الفردية وحدها، مع الأخذ في الاعتبار التأثيرات الممكنة التي قد تؤدي بشخص ما إلى الانخراط في الإرهاب. بيد أن قاعدة بياناتنا تظهر أن مرحلة الحراك - وهي تلك الفترة الزمنية بين الالتحاق بالانضمام إلى الجماعة الإرهابية والانخراط في العنف - ومن بين ٣٠ فردًا منخرطين في التخطيط لعمليات محليًّا، وفي حالات فائقة، غالبًا ما تكون أقل من أربعة أشهر أو أسابيع قليلة. بالإضافة إلى هذا، بينما لا يوجد استخدام متبادل للعنف، فإن الاستخدام الإرهابي للعنف طالما كان أكثر عنفًا من الاستخدام الإجرامي للعنف. تؤكد هذه الاستنتاجات أن الألفة بالعنف الإجرامي تنتج إرهابيين ليسوا فقط أكثر تقلبًا، بل أكثر عنفًا.

(٩٦) Baume and Paravicini, "Inside the Brussels Flat".

تبين حالة محمد مرح، الذي قتل سبعة أشخاص من بينهم ثلاثة أطفال يهود بالقرب من مدينته تولوز في مارس ٢٠١٢، تواريخ العنف المتطرف التـي قد نجد أمثلة لها في قاعدة بياناتنا. قتل مرح بعد ٣٠ دقيقة من الاشتباك مع الشرطة حيث أخبرهم أنه ندم على «عدم إيقاع ضحايا آخرين»[٩٧]. كانت هذه نهاية حياة اتسمت بالاعتياد على العنف؛ فقد قضـى مرح فترتين في السجن وحصل على ١٨ إدانة بأعمال الاعتداء والسرقة والنهب[٩٨]. وفي فترة مراهقة مرح أبلغ عنه على الأقل خمس عشرة مرة لارتكابه أعمالًا عنيفة، ووصف باعتباره حائزًا على «تاريخ عنيف من المشكلات الطفولية والسلوكية»[٩٩]. استمر هذا في مرحلة النضوج، ففي عام ٢٠٠٦، ضرب عمه في وجهه بمطفأة حريق عندما طلب منه الكف عن إصداره ضوضاء بعجلته الرباعية[١٠٠]. وفي عام ٢٠١٠، تسبب في إصابة إحدى الفتيات بالعمى بعد أن هاجمها[١٠١]. وفي الوقت الذي تحول فيه مرح إلى الراديكالية وتلقى تدريبًا إرهابيًّا في باكستان في عام ٢٠١١، لم يكن أحدهم بحاجة إلى إقناعه باستخدام العنف.

عند قيام مرح بهجماته، بدا أن تحوله من أعمال الجريمة الصغيرة إلى الإرهاب غير معتاد حتـى إن جريدة نيويورك تايمز أطلقت على حياته «أحجية مريرة»[١٠٢]. ولكن في الحقيقة، كان مرح حالة إنذار عما سيأتي؛ فبينما رأت الأجيال السابقة من الإرهابيين أن العنف وسيلة لغاية سياسية، فإن أشخاصًا مثل مرح رأوا فيه غاية في حد ذاته.

(٩٧) "Mohamed Merah: Who Was Toulouse Gunman?", *BBC News*, http://www.bbc.com/news/world-europe-17456541

(٩٨) Cyril Camu, "Mohamed Merah, de cas social à idole du jihad", *Les Inrockuptibles*, https://www.lesinrocks.com/2015/06/17/actualite/mohamed-merah-de-cas-social-a-idole-du-jihad-11754707/; Virginie Andre and Shandon Harris-Hogan, "Mohamed Merah: From Petty Criminal to Neojihadist", *Politics, Religion and Ideology* 14, no. 2 (2013): 307-319.

(٩٩) "Mohamed Merah: Who Was Toulouse Gunman?"

(١٠٠) Camu, "Mohamed Merah, de cas social à idole du jihad".

(١٠١) John Rosenthal, "Merah: The 'Untold Story' of a French Jihadist Icon", *World Affairs*, www.worldaffairsjournal.org/article/merah-%E2%80%98untold-story%E2%80%99-french-jihadist-icon

(١٠٢) Dan Bilefsky, "Toulouse Killer's Path to Radicalism a Bitter Puzzle", *The New York Times*, www.nytimes.com/2012/03/30/world/europe/toulouse-killers-path-a-bitter-puzzle.html?mtrref=www.google.com.eg&gwh=F776C77DAF22B3A36DF802111E8FE077&gwt=pay

٦- التمويل

إذا قبلنا بأن التواريخ الإجرامية تيسر الوصول إلى الأسلحة، وتساعد على الوثائق المزورة، وتؤدي إلى الألفة مع العنف، فلا ينبغي لنا أن نتفاجأ من قدرتها على تمويل الإرهاب. يندر الفحص الإمبريقي المتمعن لهذه الظاهرة على نحو مدهش، وإن كانت دراستان أخيرتان عملتا على وضع قوائم تمويل الأنشطة الجهادية في أوروبا. يركز تقرير أعده ماجنوس نورماك وماجنوس رانستروب على الكيفية التي مول بها المقاتلون الأجانب سفرهم إلى سوريا. وبالإضافة إلى القروض والتبرعات الفردية والتزوير المصرفي وتزوير الأعمال، فهناك تأكد لدور الجرائم الصغيرة(١٠٣).

تناولت إميلي أوفتدال تمويل ٤٠ مخططًا جهاديًّا في الفترة ما بين عامي ١٩٩٤ و٢٠١٣. فعلى الرغم من أن ثلاثة أرباع هذه العمليات قد تم تمويلها عبر مصادر مشروعة(١٠٤)، فإن أوفتدال توضح الدور الهام الذي أدته العمليات الإجرامية في التمويل، فقد اعتمدت ٤٠٪ من تلك المخططات على دخول الجريمة(١٠٥). وفي الحقيقة فإن أكثر تلك المخططات تخريبًا جرى تمويله من مصادر غير مشروعة، بما في ذلك هجمات محمد مرح في تولوز (انظر الفصل السابق).

يذهب هذا الفصل إلى أن التمويل من خلال الجريمة سيصبح الأداة الأكثر أهمية. وتتكون حجتنا من ثلاث أفكار مترابطة. الأولى: لا تحتاج الأغلبية العظمى من الهجمات الإرهابية إلى مبالغ طائلة من الأموال، أو أنها تعتمد على سخاء قيادة تنظيم الدولة الإسلامية. سواء كانت تلك الهجمات على نطاق مصغر أم معقدة، فإن تنظيم الدولة وغيره من الجماعات الجهادية، يعمد كجزء من استراتيجية أوسع إلى الإبقاء على القليل من الحواجز المالية، بما يجعل كل أتباعه سواء كانوا أغنياء أم فقراء قادرين على الانخراط. والثانية: لا يرتضي الجهاديون الإجرام من أجل الحصول على الأموال فقط، بل يرون فيه أيضًا سبيل أيديولوجية سليمة من أجل شن «الجهاد» في «دار الحرب». ومع الأخذ في الاعتبار العدد المتزايد من الإرهابيين ذوي الماضي الإجرامي،

(١٠٣) Magnus Normark and Magnus Ranstorp, *Understanding Terrorist Finance: Modus Operandi and National CTF Regimes*, SEDU Designation 46/2015 (Stockholm: Swedish Defence University, 2015), online e-book, www.fi.se/contentassets/1944bde9037c4fba89d1f48f9bba6dd7/understanding_terrorist_finance_160315.pdf

(١٠٤) Emilie Oftedal, *The Financing of Jihadi Terrorist Cells in Europe*, FFI Report 2014/02234 (Kjeller: Forsvarets Forskningsinstitutt (FFI), 2015): 3, 26, online e-book, www.ffi.no/no/Rapporter/14-02234.pdf

(١٠٥) المرجع السابق: ١٩.

فلن يكون تمويل الهجمات من خلال العمليات الإجرامية ممكنًا ومشروعًا فقط، بل سيصبح الخيار الأول. والفكرة الأخيرة، هناك دليل على أنه من بين الحالات التي تحتويها قاعدة بياناتنا من يستمر في القيام بما هو مألوف لديه؛ وهو ما يعني أن التمويل الإرهابي من خلال الوسائل الإجرامية سيكون أكثر أهمية مع تزايد أعداد الإرهابيين من ذوي التواريخ الإجرامية.

الاستراتيجية

إدارة تنظيم إرهابي عملية مكلفة. كان لدى التنظيمات الإرهابية ذات التكوين التراتبي مثل إيتا والجيش الجمهوري الأيرلندي ملايين الدولارات التي تنفقها على أنشطة واسعة النطاق لا تضم شراء الأسلحة والعمليات العسكرية فقط، ولكن أيضًا الرواتب ومعسكرات التدريب ومعاشات عائلات عناصر التنظيم القتلى أو المسجونين[١٠٦]. كذلك فالتنظيمات الإرهابية التي تحولت إلى جيوش متمردة أو أشباه دول – مثل الدولة الإسلامية في سوريا والعراق، ومنظمة الشباب في الصومال أو حزب الله في لبنان – فقد تحولت إلى حكومات فعلية تنفق على كل شيء من المدارس إلى البنية التحتية. ومن ثم، قد يكون من الصحيح أن تنظيم الدولة هو الجماعة الإرهابية «الأكثر ثراء» في العالم[١٠٧]، بيد أن سيطرتها على الناس والأرض تشير إلى أنه من المحتمل أن تتكلف الكثير.

بيد أن كل هذا ليس له دلالة على تمويل الهجمات الإرهابية في الغرب، التي غالبًا ما كانت منفصلة ومستقلة عن الميزانيات المركزية لتنظيمات مثل القاعدة والدولة الإسلامية. في الحقيقة، لما يزيد على عقد، طالما شجعت التنظيمات الإرهابية أتباعها الغربيين على التمويل الذاتي، في الوقت الذي دعمت فيه أنواع هجمات تتسم بانخفاض التكاليف وسهولة التنفيذ. في بداية العقد الأول من الألفية الثانية، أعلن الاستراتيجي الرئيس في القاعدة أبو مصعب السوري فكرة «الجهاد الفردي»؛ وفيها يقوم الأفراد أو الخلايا الصغيرة بجمع المال وتنفيذ العمليات «باستقلال

(١٠٦) انظر على سبيل المثال:
John Horgan and Max Taylor, "Playing the Green Card: Financing the Provisional IRA: Part 1", *Terrorism and Political Violence* 11, no. 2 (1999); Andrew Silke, "In Defense of the Realm: Financing Loyalist Terrorism in Northern Ireland - Part 1: Extortion and Blackmail", *Studies in Conflict and Terrorism* 21, no. 4 (1998): 331-361.

(١٠٧) Mike Rudin, "The Making of…World's Richest Terror Army", *BBC Two*, www.bbc.co.uk/programmes/articles/2N5d5JSJc33R8HCgpg7ctz1/the-making-of-worlds-richest-terror-army

كامل بعضها عن بعض»[١٠٨]. ومع نهاية العقد، قدمت مجلة أنور العولقي إنسباير تعليمات لما أصبح يعرف «جهاد المصدر المفتوح Open Source Jihad»؛ فقدمت نصائح لقرائها عن كيفية «صناعة قنبلة في مطبخ الوالدة»[١٠٩].

وليس تنظيم الدولة استثناءً في هذا الصدد؛ ففي الوقت الذي بذل فيه موارد ضخمة في إدارة «الدولة» في سوريا والعراق، فقد دعم أيضًا بناء الشبكات المفككة والخلايا النائمة والهجمات «منخفضة التكاليف» بين مؤيديه في الخارج. انعكس هذا في تحليل أوفتدال الذي استخلص أن ٩٠٪ من المخططات الجهادية في أوروبا قد ضمت عنصر «التمويل الذاتي» في الوقت الذي يتم تمويل نصفها تقريبًا ذاتيًّا.

يكمن سبب نجاح هذه الاستراتيجية إلى هذا الحد الذي وصلت إليه في أن الأنشطة الجهادية في أوروبا ليست مكلفة. فلن يتطلب تحول المرء إلى مقاتل أجنبي إلا شراء بطاقة سفر إلى تركيا. وقد يتكلف شراء بندقية كلاشينكوف أقل من ٢٠٠٠ دولار أمريكي، وسيتكلف المسدس أقل من هذا[١١٠]، كما أن تكاليف شراء سكين أو استئجار دراجة لا تذكر. لقد وجدت دراسة أوفتدال أن ثلاثة أرباع المخططات الجهادية في أوروبا ما بين عامي ١٩٩٤ و٢٠٠٣ قد تكلفت أقل من ٩٠٠٠ دولار[١١١]. صرح وزير المالية الفرنسي أن هجمات باريس في نوفمبر ٢٠١٥ قد جرى تمويلها بـ «مبلغ لم يتجاوز ٣٠ ألف دولار»[١١٢]. لا تتطلب هذه المبالغ دائمًا مصادر تمويل خارجية أو عمليات جمع أموال مخصصة؛ حيث يمكن جمعها من خلال الممتلكات والمدخرات الشخصية والمصادر الشرعية، مثل العمل أو القروض أو الأنشطة الإجرامية صغيرة النطاق، التي اعتاد الإرهابيون ذوو التاريخ الإجرامي ممارستها لكسب أرزاقهم.

(١٠٨) مقتطفات من كتاب السوري «دعوة إلى المقاومة الإسلامية العالمية»، وقد أعيد إنتاجها في إعلام «الملاحم»، انظر:
Abu Mus'ab El Suri, "The Jihadi Experiences: The Military Theory of Open Fronts", *Inspire*, no. 4 (Winter 2010): 31, online e-article, https://azelin.files.wordpress.com/2011/01/inspire-magazine-4.pdf

(١٠٩) الأعداد المختلفة من «الملاحم» في مجلة إنسباير، انظر:

(١١٠) Mihcael Stothard, "France Seeks New Powers to Monitor Terror Suspects' Bank Accounts", *Financial Times*, www.ft.com/content/fdfcccbc-91e4-11e5-94e6-c5413829caa5

(١١١) Oftedal, *The Financing of Jihadi Terrorist*: 26.

(١١٢) "Paris Terrorists Needed Just €30,000 for Assault", *The Local*, www.thelocal.fr/20151203/paris-attackers-needed-just-30000-euros-for-assault-france

الأيديولوجيا

بالنسبة إلى الإرهابيين المحتملين، فلن يكون من الضروري التحول إلى الجريمة كي يتحملوا تكاليف السفر إلى تركيا (الضئيلة نسبيًّا) أو تمويل الهجمات الإرهابية. إلا أنه من المثير للعجب أن التنظيمات الإرهابية غالبًا ما تشجع أتباعها على هذا.

يتعلق هذا بالفكرة الأيديولوجية القائلة بأن السرقة من «الكفار» ليست فقط غير محرمة، بل لا يمكن إدانتها. فالسرقة أو أي شكل آخر من الجريمة معادل لـ«غنيمة الحرب». وكما ذكر في الفصل الرابع، برر العولقي هذه الفكرة في فتواه «حكم سلب الكفار»؛ إذ أجاز ارتكاب الجريمة من أجل «الجهاد»، «سواء بالقوة أم بالسرقة أم الغش»(١١٣). وتمادى العولقي بالقول إن العيش بالغنائم مفضل على تلقي الرواتب؛ وهو ما يتضمن دفع ضرائب لهؤلاء الكفار، ومن ثم تمويل حروبهم وظلمهم للعالم الإسلامي(١١٤).

يتفق تنظيم الدولة الإسلامية مع هذا الرأي، وحوله إلى نصيحة عملية حيث أخبر عناصره باستخدام الوثائق المزورة من أجل الحصول على الأموال الفورية. تقول مجلة التنظيم الناطقة بالفرنسية «دار الإسلام»: (إذا كان ممكنًا)، يجب عليك أن تحصل على وثائق مزيفة من أجل الحصول على غنائم سهلة، مثل فتح حساب بنكي أو الدفع بشيكات داخل المجتمعات المتساهلة» [تمت إضافة التأكيد](١١٥). لقد اعتبر بعض الجهاديين أن تورطهم في الجريمة فريضة دينية، وأنها أبعد ما تكون عن الخطيئة.

من بين الأفراد الموجودين في قاعدة بياناتنا، تعرفنا إلى ثلاث حالات بررت الجريمة بوضوح بمفاهيم دينية. الحالة الأكثر بروزًا هي شبكة خالد الزرقاني؛ حيث شجع أبوها الروحي الزرقاني أتباعه المغاربة الصغار على السرقة من «الكفار» بقوله إن هذا الفعل جائز من أجل الجهاد (انظر الفصل الرابع). وكان رضا كركيت، هو عائد فرنسي قبض عليه في مارس ٢٠١٦ في أثناء تخطيطه

(١١٣) Anwar Al Awlaki, "The Ruling on Dispossessing the Disbelievers Wealth in Dar Al-Harb", *Inspire*, no. 4 (Winter 2010): 59-60, online e-article, https://azelin.files.wordpress.com/2011/01/inspire-magazine-4.pdf

(١١٤) المرجع السابق: ٦٠.

(١١٥) "Les règles de sécurité": 33.

لهجوم إرهابي - يعيش على الغنيمة من خلال سرقة المجوهرات[١١٦]. وحاول رجل فرنسي آخر، قام بتزوير بيانات راتب من أجل فتح حساب بنكي، شرح أفعاله بالقول «إنها غنائم الحرب، وهي حلال، ألا ترى؟»[١١٧].

دراسة الحالة ٤: آميدي كوليبالي والأخوان كواشي

في عام ٢٠٠٨، أجرت صحيفة «لوموند» الفرنسية لقاء مع سجناء في فلوري - ميروجي حول ظروفهم داخل ذلك السجن سيئ السمعة. قال أحد النزلاء:

«إن السجن هو إحدى أفضل مدارس الجريمة اللعينة. ففي نفس الممر، تتقابل مع الكورسيكيين والباسكيين والمسلمين واللصوص وتجار المخدرات الصغار والمهربين الكبار والقتلة. وهناك تتعلم من سنوات خبراتهم»[١١٨].

كان هذا السجين هو آميدي كوليبالي الذي اعتقل بتهمة تلقي بضائع مسروقة والمتاجرة في المخدرات والسرقة. وفي فلوري - مورجي، بدأ بالاختلاط بالمتطرفين، ووجهه جمال بغال، وهو أحد القائمين على التجنيد في القاعدة [١١٩]، كذلك سيقوم بتكوين صداقة مع شريف كواشي الذي قضى معه سبعة أشهر في نفس الجناح.

عند إطلاق سراحه، استمر كوليبالي في الارتباط بكل من الأوساط المتطرفة والإجرامية، وشجعه معلمه بغال على هذا؛ فقدم له رخصًا فكرية لارتكاب الجريمة من أجل الجهاد[١٢٠]. سيقوم كوليبالي بتنفيذ سلسلة من الهجمات الإرهابية في يناير ٢٠١٥ ستودي بحياة خمسة أشخاص، وتنتهي بأزمة رهائن في سوق للكوشير اليهودي. بدا أن هذه الهجمات قد نسقها الأخوان كواشي اللذان قتلا ١٢ شخصًا في مكاتب مجلة شارلي إبدو.

(١١٦) Philippe Engels, "Projet d'attentat déjoué : Reda Kriket, au coeur d'un énorme réseau de recrutement djihadiste", *Mariann*, www.marianne.net/monde/projet-dattentat-dejoue-reda-kriket-au-coeur-dun-enorme-reseau-de-recrutement-djihadiste

(١١٧) Guillaume Gendron, "Le crédit à la consommation, bon plan des jihadistes", *Libération*, www.liberation.fr/societe/2015/01/16/le-credit-a-la-consommation-bon-plan-des-jihadistes_1181998

(١١٨) Luc Bronner, "Amedy Coulibaly : La prison, c'est la putain de meilleure école de la criminalité", *Le Monde*, www.lemonde.fr/societe/article/2015/01/13/amedy-coulibaly-la-prison-c-est-la-putain-de-meilleure-ecole-de-la-criminalite_4555233_3224.html

(١١٩) Chrisafis, "Charlie Hebdo Attackers".

(١٢٠) Gendron, "Le crédit à la consommation, bon plan des jihadistes".

كانت مصادر تمويل هذه العمليات مختلطة. فقد تلقى الأخوان كواشـي في البداية ما يعادل مبلغ ١٥ ألف دولار من تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية بعد رحلة قاما بها في عام ٢٠١١ إلى اليمن، وإن كان المرجح أن هذا المال قد أنفق قبل وقوع هجمات شارلي إبدو[١٢١]. وربما الأكثر أهمية هو أن سعيد كواشـي قد انخرط في عمليات تزييف؛ فقد كان يستورد أحذية نايكي المقلدة من الصين. أبلغ أن الأموال المجنية من هذه العملية قد أنفقت في شراء أسلحة جرى استخدامها في هجمات يوليو ٢٠١٥[١٢٢]. اكتشفت مصلحة الجمارك الفرنسية هذه العملية في عام ٢٠١٣؛ وهو ما أدى إلى تغريم كواشـي. بيد أن علاقاته الأوسع - وغايته النهائية من العملية - لم تكتشف قط؛ وذلك لأنه لم تجرِ الاستجابة إلى الطلبات المتكررة التـي قدمها جهاز المخابرات الداخلية الفرنسـي لدعمه [في تعقب المتطرفين]؛ على الرغم من أن التزييف وسيلة تمويل راسخة لدى التنظيمات الإرهابية عبر العالم[١٢٣].

من ناحية أخرى، كان آميدي كوليبالي يبيع المخدرات قبل شهر واحد من الهجمات، بالإضافة إلى امتلاكه ديونًا في الشارع تقدر بـ٣٠ ألف دولار[١٢٤]. ومن الملاحظ أنه هو وزوجته قد جمعا أموالًا عن طريق مصدرين للقروض العائلية، ٦٠٠٠ دولار من نظام كوفيدي Cofidis في ديسمبر ٢٠١٤، و٢٧ ألف دولار من نظام فينانكو Financo في سبتمبر ٢٠١٤[١٢٥]. قد استخدمت قروض فينانكو في شراء سيارة جرى استبدال أسلحة بها[١٢٦].

(١٢١) Eric Schmitt, Mark Mazzetti and Rukmini Callimachi, "Disputed Claims Over Qaeda Role in Paris Attacks", *The New York Times*, www.nytimes.com/2015/01/15/world/europe/al-qaeda-in-the-arabian-peninsula-charlie-hebdo.html?mtrref=www.google.com.eg&gwh=294474CA0D3935A62E8CDBD04B185C9D&gwt=pay&assetType=nyt_now

(١٢٢) Katrin Bennhold and Eric Schmitt, "Gaps in France's Surveillance Are Clear; Solutions Aren't", *The New York Times*, www.nytimes.com/2015/02/18/world/gaps-in-surveillance-are-clear-solutions-arent.html?mtrref=www.google.com.eg&gwh=9F847C253712DCA913193EDE00AE3FA5&gwt=pay

(١٢٣) المرجع السابق.

(١٢٤) Paris Attacks: Investigators Turn up New Leads", *BBC News*, www.bbc.com/news/world-europe-30832444; "J-12 jours avant "Charlie" et l'Hyper Cacher : Récit d'un effroyable compte à rebours", *L'Obs*, www.nouvelobs.com/charlie-hebdo/20150224.OBS3299/j-12-jours-avant-charlie-et-l-hyper-cacher-recit-d-un-effroyable-compte-a-rebours.html

(١٢٥) المرجع السابق.

(١٢٦) Delphine Vialanet, "Coulibaly : Une voiture achetée à Bordeaux échangée contre des armes", *Franceinfos.3*, https://france3-regions.francetvinfo.fr/nouvelle-aquitaine/bordeaux-metropole/bordeaux/coulibaly-voiture-achetee-bordeaux-echangee-contre-armes-635744.html

على الرغم من أن كوليبالي قد قدم هوية سليمة عند طلبه قرض كوفيدي، فإنه استخدم وصل راتب مزيف يحتوي على دخل يقدر بـ٢,٩٧٨ دولار في شركة تسمى ناكسوس Naxos. ربما كان القيام بفحص سريع كفيلًا بإثارة الشكوك. فالسجلات المتاحة علنًا تظهر أن ناكسوس ليس لديها موظفون، وأن رقم الهاتف الذي قدمه كوليبالي مرفوع من الخدمة. وتقريبًا في الوقت الذي حصل فيه كوليبالي على قرض كوفيدي، حاول أيضًا الحصول على قرض من نظام كريديبار Credipar، أيضًا بوضع شركة ناكسوس كمحل عمله. وفي هذا الوقت، جرى التواصل مع شركة تيلسيته Telcite وهي الشركة الأم لناكسوس، وأكدت أن كوليبالي ليس موظفًا لديها. فلو جرى تشغيل نظام التسليف في تلك المرة، لتمت الإشارة إلى محاولة كوليبالي، ولجرى تحذير بقية الشركات، وربما أدى الأمر إلى تحقيق[١٢٧].

الاستمرارية

تكمن الصعوبة الأساسية في تعقب الجريمة كوسيلة لتمويل الإرهاب في أنها لا تتضمن تغيرًا في السلوك بل تغير في الغاية فقط. فغالبًا ما يستمر الأفراد ذوو التواريخ الإجرامية فيما كانوا يقومون به في حياتهم السابقة، إلا أن العوائد التي يجنونها تستخدم في تمويل الهجمات الإرهابية أو السفر إلى سوريا. نتيجة لهذا، يصبح من الصعب التمييز بين الأموال التي جمعت من أجل الإرهاب من الأموال التي أنفقت على أغراض دنيوية كليًّا. على سبيل المثال، باع سعيد كواشي سلعًا مزيفة، وتلقى أموالًا من تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية، وانخرط في عمليات نصب مصرفية وعمليات سرقة (انظر دراسة الحالة رقم ٤)؛ على أن ليس بعض تلك الأموال قد استخدم في تمويل هجمات إبدو، في حين استخدم بعضها الآخر؛ فكيف يمكن التمييز بين هذا وذاك؟ وهل فرق كواشي، في باله، بين مسارات الأموال المختلفة؟ يجعل امتزاج الأوساط الإجرامية والإرهابية، مع وجود عمليات إرهابية ذاتية التمويل، من الصعب الإبقاء على الأفكار التقليدية

(١٢٧) "Amedy Coulibaly avait contracté un prêt de 6000 € qui aurait pu financer ses attentats", *La Voix du Nord*, www.lavoixdunord.fr/archive/recup/france-monde/amedy-coulibaly-avait-contracte-un-pret-de-6000-qui-ia0b0n2599793; Gendron, "Le crédit à la consommation, bon plan des jihadistes"; "Amedy Coulibaly avait contracté un prêt de 6000 €".

حول تمويل الإرهاب، بدلًا من الربط بين التحويلات المالية أو مسارات الدخول في الإرهاب، وقد يكون من الأجدى التركيز على الأفراد وخلفياتهم وتواريخهم المالية.

تتضح صحة هذا من خلال الأفراد الذين تضمهم قاعدة بياناتنا، حيث غالبًا ما تعكس طرق جمع أموالهم في الإرهاب تواريخهم الإجرامية. حتى قبل أن يتحول كواشي إلى الإرهاب، كان يكسب رزقه من التجارة في السلع المزيفة؛ واستمر في القيام بهذا لتمويل هجماته. ينطبق هذا المنطق نفسه على الجهادي البريطاني شكري الخليفي، الذي أدين في العديد من السرقات، ومول رحلاته إلى سوريا بالقيام بمزيد من السرقات[١٢٨]. وبالمثل، عملت مجموعة من المقاتلين الأجانب اللاحقين في أعمال البناء، ومولوا رحلتهم من خلال بيع النحاس الذي سرقوه من موقع البناء[١٢٩]. في كل تلك الحالات، لم يكن الرابط المشترك مصدر تمويل محددًا (سواء كان عملية تزييف أم نحاس أم السرقات) ولكن الاتساق الفردي. إذا كان جهاديو اليوم مجرمين سابقين، فيجب ألا ندهش من الطريقة التي يمولون بها «جهادهم».

(١٢٨) Duncan Gardham, "The Al Qaeda Fanatic from Britain Who Funded Jihad Trip to Syria by Mugging Londoners with a Taser", *Mail Online*, www.dailymail.co.uk/news/article-2516137/The-Al-Qaeda-fanatic-Britain-funded-jihad-trip-Syria-mugging-Londoners-Taser.html

(١٢٩) Simon Kremer, Eike Lüthje and Carsten Janz, "Die Säulen des Islamismus im Norden", *NDR.de*, www.ndr.de/nachrichten/schleswig-holstein/Die-Saeulen-des-Islamismus-im-Norden,islamisten174.html

٧- التوصيات

كما أوضح هذا التقرير، فإن الكثير من جهاديي اليوم لم يعودوا من مثقفي الطبقة الوسطى، بل هم مجرمون صغار وأعضاء عصابات سابقون، قضوا وقتًا في السجن، وقد أدينوا بارتكاب جرائم عنيفة. عبر أوروبا، امتزجت الأوساط الإجرامية والإرهابية بما أنتج رابطة إجرامية إرهابية، سعى هذا التقرير إلى وصف مظاهرها وتداعياتها المتنوعة.

إن وجود هذه الرابطة والآليات المرتبطة بها يجب أن يدفع الباحثين والمحللين وصناع السياسة إلى إعادة التفكير في الأفكار الراسخة حول الكيفية التي يجب أن يواجه بها الإرهاب والجريمة والتحول إلى الراديكالية. في الجزء التالي، نقدم مجموعة من التوصيات، التي قد تكون مفيدة في التعامل مع عواقب الظاهرة.

إعادة التفكير في الراديكالية

العديد من الافتراضات حول التحول إلى الراديكالية في حاجة إلى إعادة تفكير. لا تتعلق تلك الافتراضات فقط بالأشخاص المعرضين إلى الجهادية والأماكن التي يمكن أن يوجدوا فيها، بل أيضًا بسلوكهم. تناقض الشخصيات الموجودة في قاعدة بياناتنا الاعتقاد بأن الانخراط في التطرف يتناسب مع السلوك الديني. فقد اعتاد الكثير منهم على تدخين السجائر وشرب الكحول أو تعاطي المخدرات. راعى الآخرون من ناحية أخرى القواعد الدينية لكنهم استمروا في الانخراط في الجريمة. ببساطة، ليست التقوى ضمانًا لانتهاء السلوك الإجرامي، في حين لا يعوق التصرف مثل «رجال العصابات» الانخراط في الإرهاب.

بالمثل، يبدو أن الوقت الذي يقضيه المتطرفون في التحرك نحو الفعل قد تضاءل. فالكثير من الأفراد في قاعدة بياناتنا لم يكونوا بحاجة إلى التآلف مع العنف؛ إذ إن لديهم تواريخ إجرامية. ولم يكن ارتكاب أعمال عنف مانعًا لهم للانخراط في الإرهاب، بل أيضًا كان أمرًا تقبلوه بإيجابية. وبدلًا من أعوام، استغرق الأمر شهورًا، وفي بعض الحالات أسابيع، كي يتحول هؤلاء إلى مقاتلين أجانب، أو يجهزوا لهجمات محلية.

وضع خريطة للرابطة الإجرامية الإرهابية

من أكثر الموارد تطلبًا هو بناء قاعدة بيانات شاملة ومبحوثة جيدًا تتعقب كل مسارات التفاعل الإجرامي - الإرهابي. فمع اقتصار الأمر على شذرات تاريخية والقليل من الدراسات -كتلك التي بين أيدينا، والتي تجمع بيانات يمكن إحصاؤها كميًّا - من العسير التعرف على اتجاهات الجريمة - الإرهاب، وتصوير شبكة التفاعلات، خاصة على المستوى المتجاوز للحدود. سيساعد تطوير مثل هذه الإمكانية على تعزيز وزيادة التحليل المقارن للحالات؛ فعلى سبيل المثال سيعمق هذا من فهمنا للتمايزات الجغرافية لكل رابطة إجرامية - إرهابية، وكيف تساعدنا على طبيعة وآليات هذا الخطر.

وبعيدًا عن هذا الجانب البنيوي، تزداد أهمية التحقيق من المصفوفة المعقدة للعناصر المؤثرة - الاجتماعية والإجرامية - في عملية التحول إلى الراديكالية، والتي تجيب عن أسئلة من قبيل: كيف يتمكن الجهاديون من حل التناقض بين ارتكاب الجرائم والسلوك غير الإسلامي واعتقاداتهم الأيديولوجية؟ وهل المجرمون وحدهم هم من يتحولون إلى إرهابيين؟ وهل يمكن للإرهابيين أن يتحولوا إلى مجرمين؟ هل يمكن أن يكون هناك تكوين نفسي محدد للمجرمين السابقين الذين يتحولون إلى الإرهاب؟

سجـون أكـثـر أمـانًـا

كما أوضحت هذه الدراسة، فإن السجون تشبه العالم المصغر للرابطة الإجرامية - الإرهابية حيث تقع عمليات التحول إلى الراديكالية والتجنيد والتشبيك حتى بناء المخططات الإرهابية. ومع ازدياد أعداد الاعتقالات والإدانات المتعلقة بالإرهاب، فمن غير المحتمل أن تتضاءل أهمية السجون. ولضمان عدم تحول السجون إلى حواضن تسهل من التحول إلى الراديكالية أو بناء المخططات الإرهابية، نوصي ببذل جهود مكثفة كي تتحول السجون إلى أماكن آمنة أو أكثر أمانًا تجاه المخاطر المتعلقة بالرابطة الإجرامية - الإرهابية الجديدة.

بناءً على تقرير أصدره المركز الدولي لدراسة الراديكالية عام ٢٠١٠ حول السجون والتحول إلى الراديكالية[١٣٠]، يتضمن هذا:

- التأكد من أن السجون الموجودة داخل نظام السجون بها موظفون أفاضل، ولا تعاني من الازدحام الشديد.
- تدريب مسئولي السجون على الأمور المتعلقة بالتحول إلى الراديكالية والإرهاب، وبذلك يكونون قادرين على قراءة الإشارات المبكرة؛ والتمييز بين التحول الديني والتحول العنيف إلى الراديكالية.
- تكليف ضباط أمن متخصصين بالسجون؛ للإبقاء على قنوات تواصل مباشرة مع أجهزة الأمن.
- توفير أئمة السجون المعتدلين؛ بحيث لا يكون لدى المتطرفين الفرصة لملء «الفراغ الروحي» واستغلال الاستهلالات الإدراكية.
- إتاحة خدمة تقويم السلوك بموارد معقولة للفهم والتعامل مع تحدي إعادة إدماج المجرمين الذين يحتمل تحولهم إلى الراديكالية.

(١٣٠) Neumann, *Prisons and Terrorism*.

استهداف كل مسـارات التمويـل

طالما ركزت جهود مكافحة تمويل الإرهاب على النظام المالي العالمي- ولم تحقق إلا نتائج هزيلة. توضح التكلفة الضئيلة للهجمات إلى جانب امتزاج الأوساط الإجرامية والإرهابية أكثر من أي وقت مضـى أن التركيز على التحويلات المالية ليس كافيًا، وأنه من الضروري تبنـي منهج يتعامل مع كل مسارات التمويل. تتمثل توصيتنا في أن مواجهة تمويل الإرهاب يجب توسيعها لتشمل مواجهة كل مصادر التمويل الممكنة، بما في ذلك الجرائم الصغيرة وضيقة النطاق، مثل توزيع المخدرات والسرقات والأسلاب والمتاجرة في السلع المزيفة؛ مثل الملابس والساعات والحقائب والعطور والسجائر والأجهزة والألعاب الإلكترونية.

إن في القيام بهذا فوائد جمة؛ فهو يواجه تمويل الهجمات الإرهابية، ويـحـد من الجرائم «العادية»، ويمكن أجهزة إنفاذ القانون من تفعيل ما يعرف بـ«طريقة آل كابوني»، وهو ما يشير إلى توجيه تهم أقل ضد الأفراد في حال يصعب إثبات ضلوعهم في الإرهاب[١٣١]. لقد أوضحت عمدة مقاطعة مولينبييك؛ التي عاش فيها عدد من منفذي هجمات باريس وبروكسل، بدقة هذه الفكرة عندما قالت «إن الراديكالية تتغذى على أشكال الإجرام الأخرى، وهو ما يمثل طريقة للتعامل مع الإرهاب من خلال استهداف أشكال الجريمة الصغرى»[١٣٢].

تشـارك المعلومـات

في الوقت الذي تداخلت فيه الخطوط الفاصلة بين الإرهاب والجريمة «العادية»، فإن الأجهزة المعنية في حاجة إلى أن تعلي من كفاءتها في مشاركة المعلومات المرتبطة خلال الأقسام و«الحقول» المختلفة. لقد قدم هذا التقرير العديد من الأمثلة التـي أخفقت فيها أجهزة مكافحة الإرهاب في التصرف بناءً على تحذيرات قدمتها إدارات السجون أو الجمارك أو الشرطة. ومن ثم، يصبح من الضروري على الأجهزة الحكومية أن تراجع قنوات ونظم تبادل المعلومات القائمة، وأن تتجاوز فكرة الشراكات «التقليدية»، وأن تجري تغيرات موائمة للطبيعة الجديدة ومتعددة الأبعاد للتهديد.

(١٣١) آل كابوني هو اسم رجل عصابات أمريكي شهير، أدين في النهاية بجرائم متعلقة بالضرائب.

(١٣٢) Nikolaj Nielsen, "Molenbeek Mayor Opens New Front on Extremism", *Euobserver*, https://euobserver.com/justice/135003

وفقًا ليورغن شتوربك Juergen Storbeck، المدير المؤسس للشرطة الأوروبية «يوروبول» يجب أن يتضمن هذا بناء قواعد بيانات وتدريبات مشتركة، وتبادلًا إلزاميًّا للمعلومات حول مواضع المخاطرة (على سبيل المثال، التحولات أو الرحلات المثيرة للريبة) وكذلك بناء نظام تحذير مبكر(١٣٣). هناك اقتراح آخر يتعلق بإدماج قواعد بيانات الإجرام والإرهاب، وأن يتم الرجوع إليها بشكل مشترك وعلى نحو دوري، وأن تغذى ببيانات الوقت الحقيقي وبالأدلة الرقمية(١٣٤). وحيثما سمحت قوانين الخصوصية والحريات المدنية، يمكن أن تصمم قواعد البيانات هذه بمعلومات دالة من أجهزة غير أمنية مثل السلطات المحلية أو ربما القطاع الخاص (انظر البند التالي)، بالإضافة إلى الانتفاع بالتكنولوجيا من أجل إدارة وبناء معنى من مصادر المعلومات المتفرقة.

بناء تحالفات جديدة

فيما يتجاوز مشاركة البيانات، يتمثل أحد التحديات في تشكيل تحالفات جديدة بين شركاء لم يعتادوا على العمل معًا. من وجهة نظرنا، يتطلب امتزاج الأوساط الإرهابية والإجرامية تفكيك حالة العزلة المؤسسية التي تمنع المؤسسات والأجهزة المعنية من بناء شراكات فعالة. يتطلب تحقيق هذا بناء القيادة والإرادة في التغلب على العوائق الثقافية والسياسية(١٣٥).

- **ما بين الأجهزة**

كما ذكر أعلاه، لم تعد مكافحة الجريمة ومكافحة الإرهاب منفصلتين كليًّا؛ وهو ما يعني أن تلك المؤسسات المسئولة عن محاربة الإرهاب وتلك المكلفة بمكافحة الجريمة في حاجة إلى التعاون على نحو أكثر تنظيمًا عما هو عليه الحال.

إن أجهزة المخابرات وإنفاذ القانون وجامعي الضرائب، وسلطات السجون في حاجة إلى مأسسة الروابط فيما بينها، وإلى تطوير قنوات التواصل ومشاركة المعلومات وكذلك القيام ببناء منظم لرأس المال البشري؛ على سبيل المثال من خلال عمليات التبادل والتدريبات، والتمرينات

(١٣٣) Interview with Jürgen Storbeck (15 July 2016).
(١٣٤) Egmont Institute Conference (26 September 2016).
(١٣٥) Interview with British Counter-Terrorism Official (25 July 2016).

المشتركة، وعمليات المحاكاة التي من شأنها أن تعزز الثقة والتعاون المتبادل. قد تكون «مراكز الاندماج» و«فرق الجريمة المتقاطعة» مفيدة في تسهيل تدفق المعلومات، وضمان أن التعاون سيصبح راسخًا بعمق في كل أجهزة الحكومة المعنية.

- **ما بين الحكومة والسلطات المحلية والمجتمع المدني**

إن الأجهزة الأمنية في حاجة إلى تجاوز ما يخصها. فالعديد من الجرائم لها جذور محلية، وأحيانًا يكون مرتكبوها معروفين في المجتمعات الصغيرة التي تقع فيها تلك الجرائم. إحدى الغايات الرئيسة لهذا هي بناء وعي بالصلات الممكنة بين الجرائم «العادية» وتمويل الإرهاب، والمساعدة على حشد السكان المحليين في سبيل منعها. على سبيل المثال، من الممكن أن يتم هذا من خلال الإعلان والتواصل المستهدف، أو الضبط المجتمعي.

يساوي هذا في الأهمية إقامة العلاقات مع السلطات المحلية التي من المؤكد معرفتها بالمجتمعات المحلية وآلياتها وعلاقاتها أكثر من أجهزة إنفاذ القانون ووكالات المخابرات. على العكس من هذا، قد تساعد أجهزة المخابرات على التعامل مع الاضطرابات والمظالم المحلية، وأن تبني علاقات إيجابية مع قادة المجتمعات المحلية.

- **الشراكات المحلية والعامة**

تتمثل إحدى الأدوات القيمة أيضًا في الشراكات العامة - الخاصة. فالأعمال الخاصة تتأثر بالعديد من الجرائم التي جرى وصفها في هذا التقرير. فبالإضافة إلى رغبة [رجال الأعمال] في الظهور كمواطنين صالحين، فإن لديهم مصالح تجارية في مواجهة عمليات التهريب والتزييف والمتاجرة في السلع المغشوشة، وانتهاك حقوق الملكية الفكرية. وغالبًا ما يجمع هؤلاء ويمتلكون معلومات من الممكن أن تكون مفيدة لأجهزة إنفاذ القانون.

ومع ذلك، وعلى النقيض من المجالات الأخرى التي قدم التقرير توصيات تهمها، فهناك حاليًا فهم أو وعي قليل في أوساط المسئولين وصناع السياسة الأوروبيين بطبيعة الشراكات العامة - الخاصة أو كيفية عملها. ففيما عدا حماية البنية التحتية الأساسية والتعامل مع المصارف وشركات الاتصالات، تجد العديد من الأجهزة الأمنية أنه من الصعب تصور تعاونها مع الشركات

الخاصة، أو فهم الدور الذي قد تقوم به في مكافحة الجريمة أو الإرهاب. على الأقل هناك عدة أمثلة أو ممارسات أفضل يمكن القيام بها في هذا الصدد(١٣٦).

نتيجة لهذا، يجب أن تكون الخطوة الأولى في سبيل استكشاف وجود إمكانية لهذا التعاون هي إجراء تقييم وتحليل معمق للشركات العامة – الخاصة القائمة فعليًّا في أوروبا وغيرها. ونوصي في هذا الصدد بإجراء مقابلات وورش عمل تجمع أصحاب المصالح من الطرفين، أي الحكومات والشركات الخاصة، وذلك من أجل الوصول إلى فهم أفضل لمصالحهم واحتياجاتهم ومساهماتهم المحتملة. ومن ثم، من الممكن أن يكون هذا قاعدة لتطوير وتصعيد التعاون. وسيوفر القيام بهذا العديد من الفرص لمناقشة التحديات والعوائق مثل قضايا السرية التجارية والعامة.

في حال نجاح هذه الخطوة، سيكون بإمكان هذه الشراكات أن تصير قنوات مفيدة لتبادل بعض الممارسات أو تنسيق جهود نشر الوعي وتطوير التنظيم الذاتي. وقد تكون مفيدة أيضًا في التشبيك عبر قطاعات مختلفة وتطوير الإدماج المجتمعي الناجح. والأكثر أهمية من هذا، أنها ستدفع بفئة جديدة تمامًا من الفاعلين في مواجهة خطر متسارع في تغيره.

(١٣٦) Workshop at FBINAA Conference (27 September 2016).

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية